ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1082 - الجمعة 9 شعبان 1425 هـ - الموافق 24 شتنبر 2004

سيدنا محمد المعلم المثالي

- آليات تطبيق مسطرة الشقاق
- قيمة الوقت في حياة المسلم
- الرهن العرفي: عادة منكرة ومعاملة فاسدة
- العنوسة أسبابها وطرق علاجها
- كتاب السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة
- مباحث الإمامة

لصوم شعبان فضل كبير

لقد خص الله البعض من الأيام والشهور والليالي بالفضل ومن حسن شهر شعبان أنه ميزه بفضل كثير حسبما وثقه السلف الصالح ونص عليه الحديث النبوي الشريف فقد جاء في صحيح البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف قال : أخبرنا مالك عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت:« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان».

وجاء في شرح العيني المسمى عمدة القاري على شرح صحيح البخاري أنه روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي أراك تكثر صيامك فيه ، قال : يا عائشة إنه شهر ينسخ فيه ملك الموت من يقبض وأنا أحب أن لا ينسخ اسمي إلا وأنا صائم» قال المحب الطبري غريب من حديث هشام بن عروة ، وروى ابن ماجة بسنده الموجود في المصدر المذكور (أعني عمدة القارئ على صحيح البخاري) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تبارك الله وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من يستغفرني فأغفر له، ألا من يسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه...ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر...)

وعن عائشة أنها قالت :« ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر صياما منه في شعبان فإنه كان يصوم شعبان إلا قليلا » وفي رواية الترمذي عن أبي سلمة عن عائشة أنها قالت: (ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في شهر أكثر صياما منه في شعبان كان يصومه إلا قليلا بل كان يصومه كله)

وفي حديث أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال:« قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم».

روي عن أنس أنه قال: كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرأوها وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان وكأنهم كانوا يعكفون على القرآن بهذه الصورة الخاصة استعدادا لدوام قراءته في شهر نزول،ه شهر الرحمة والغفران، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ويبادرون في مساعدة ضعفائهم ليعينوهم على القيام بهذه الركن من الإسلام على الوجه الأكمل. فنهيب بالميسورين زادهم الله غنى مصروفا في طاعته أن يعينوا المحتاجين ويمدوا لهم يد المساعدة رأفة بهم وعطفا عليهم وتخفيفا من ألم العجز المادي الذي يعانون منه (فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) ففي كل كبد حراء أجر ، ولا يفوتني أن أنوه بما تقوم به مؤسسة محمد الخامس للتضامن التي تشرف على عملية توزيع وجبات الإفطار خلال شهر رمضان على المحتاجين، كما توزع بهذه المناسبة الدينية المواد الغذائية في العالم القروي كي يستعين الفقراء على أداء هذا الركن في راحة واطمئنان مادي شاملين طيلة شهررمضان المعظم، لا غيب الله أجر هذا العمل الانساني عن أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين، ولا غرابة في هذا العمل الرحماني أن يصدر من سبط الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان رسول الله (ص) أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

ولئن كان الموضوع هو فضل صيام شهر شعبان فإن من أعمال السلف الصالح فيه هو إعانة الضعفاء على القيام بهذا الركن كما روي عن أنس وضمناه هذه الكلمة

فديننا دين رحمة بعباد الله، دين إنسانية، دين يهدي لزرع المحبة والإخاء وينمي التوادد بين أفراد الإنسانية لا طبقية فيه ولا تجبر ولا أنانية، كله رحمة وحنان ومودة وصفاء وإخاء. وفقنا الله لما فيه رضاه إنه سميع مجيب .

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، الرجو صيانتها عن أي امتهان

جبل ثور، وحراء

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ مازال التجيبي يتحدث عن الجبال المحيطة بمكة، والقريبة منها، فبعد حديثه عن جبل أبي قبيس، وعن الكرامة التي شاهدها الليث بن سعد، من أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، يحدثنا بعد ذلك عن غار جبل ثور، الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر في الترتيب الأول لتنفيذ الهجرة الكبرى التي أذن الله تعالى بها لرسوله الكريم لتكون فاتحة خير في نشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق، ولتأسيس الدولة الإسلامية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

يقول التجيبي: جبل ثور الذي فيه الغار المبارك الذي قال فيه تعالى في كتابه العزيز: "إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا" (التوبة/40) ويقول بعد ذلك: ويقال لهذا الجبل ثور أطحل، بالطاء والحاء المهملتين، وهو جبل عال، شامخ وعر، كثير الحجارة، صعب المرتقى جدا، لايكاد يبلغ اعلاه إلا بالجهد، وليس حول مكة المشرفة اعلى منه، ولا اشد توعرا، ويتراءى من أعلاه بحر جدة، وكثيرا ما يتجنب الناس طلوعه لصعوبته ويحذرون من رقيه، اخبرني شيخنا رضي الدين. قال: صعد شيخنا الإمام أبو بكر بن مسدي، إلى جبل ثور مرة واحدة في عمره، ثم لم يعد إليه، وكان ينهى عن صعوده لصعوبته، ويقول لايصعد جبل ثور الاثور، ثم قال لنا، وها أنا مكي، وماصعدت إليه قط، قال التجيبي: قلت: في صعود هذا االجبل الشريف من البركة أن يرى الإنسان الغار المبارك الذي ذكره الله تعالى في القرآن، واستخفى فيه سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، إذ دخل الغار المبارك من فمه الضيق الذي يعسر منه الولوج، ولم يتغير ذلك الموضع ببناء ولاغيره، وهو علم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لما صح وثبت من نسج العنكبوت به، إلى غير ذلك من أعلامه الباهرة، ولم يزل الفضلاء يقصدون ملامس يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومواطئ قدميه للتبرك بذلك، فقد روينا أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، ثم وضعها على وجهه، والله تعالى أعلم، ومن بركة هذا الغار المبارك ماروى أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال لابنه : يابني إذا حدث في الناس حدث، فائت الغار الذي رأيتني اختبات فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يأتيك فيه رزقك غدوة وعشية، ثم يقول التجيبي وبين هذا الجبل المبارك وبين مكة المشرفة نحو أربعة أميال، أو ما يقرب ذلك، صعدنا هذا الجبل المبارك مع جماعة من المجاورين، أعاد الله تعالى من بركتهم وذلك في يوم الخميس الثامن عشر لشوال من سنة ست وتسعين، المذكورة . اي 696هـ. ورأينا الغار المبارك وهو في جانب منه في أعلاه دون رأسه قليلامما يلي الغرب، وهو صخرة واحدة باركة على وجه ذروة الجبل مقبية، وهو مستطيل من ناحية الغرب إلى الشرق، وطوله نحو عشرين شبرا، وعرضه نحو تسعة أشبار، دخلنا هذا الغار المبارك من فمه الضيق الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم، وطول هذا الفم أربعة أشبار وثلثا شبر، وارتفاع أوسع موضع فيه شبران وأربع أصابع مغلقة، وذلك في الوسط منه، وأما جانباه فأقل من ذلك، وعلى الوسط يكون الدخول، فصلينا في الغار المبارك ماقدر لنا، ودعونا الله تعالى فيه بما يرجى قبوله بفضل الله تعالى ورحمته، ولايستطيع أحد أن يصلي في هذا الغار قائما، وإنما يصلي فيه كالراكع، وله باب آخر طوله نحو ثلاث أذرع، وعرضه نحو ذراعين، يقال: إن منه خرج النبي صلى الله عليه وسلم، حين سار إلى المدينة المشرفة، وإنه انفتح له عليه السلام، وبقي آية بينة إلي يوم القيامة..وأعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، أكثر عن أن تحصى، ومن هذا الباب المتسع كان خروجنا من الغار المبارك...

وذكر التجيبي بمناسبة كلامه عن غار ثور ماورد في كتب السنة والسيرة من المعجزات التي وقعت عندما دخله النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق، وأطال في ذلك.

وينتقل بعد ذلك للحديث عن غار (حراء) فيقول: "ومنها . أي من مشاهد مكة المكرمة . جبل حراء بكسر الحاء على وزن فعال، يصرف ولايصرف، ويذكر ويؤنث، والتذكير فيه أقرب، ووهم من قاله بفتح الحاء والقصر، قال الخطابي أصحاب الحديث يخطئون في هذا الإسم في ثلاثة مواضع: يفتحون الحاء وهي مكسورة، ويكسرون الحاء وهي مفتوحة . لعله يقصد الراء ، ويقصرون الألف وهو ممدود، وهذا الجبل مشرف على منى، مرتفع في الهواء محدد أحمر، وبينه وبين مكة شرفها الله تعالى نحو ثلاثة أميال أيضا، أو مايقرب من ذلك، وفي رأسه الحجر العالي الذي يقابل ثبيرا على يسار الذاهب إلى الجبل، وهو الجبل الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ثبير وهو على ظهره، اهبط عني فإني اخاف أن تقتل على ظهري فأعذب، فناداه حراء: إلي يارسول الله، وهو أيضا الجبل المبارك الذي حبب للنبي صلى الله عليه وسلم الخلاء فيه، والتعبد فيه، وفيه أنزل عليه، أول آية نزلت من القرآن العزيز".

وعن حراء قال ابن حجر في الفتح: "حراء بالمد وكسر أوله كذا في الرواية . أي التي اعتمدها ابن حجر . وهو الصحيح، وفي رواية الأصيلي بالفتح والقصر، وقد حكي أيضا، وحكي فيه غير ذلك، جوازا لارواية، وهو جبل معروف بمكة، والغار نقب بالجبل، وجمعه غيران".

هذا: ويقع جبل حراء شرق مكة على بعد أكثر من أربعة كيلو مترات ونصف، وبه الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة شهرا كل عام، على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام، وفيه نزل أول مانزل من القرآن الكريم.

وأورد التجيبي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في بدء الوحي الذي أخرجه البخاري ومسلم، أورده بسندين له عن شيوخه: "أول مابدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، وينحنث فيه، وهو التعبد . الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: ماأنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: إقرأ، قلت: ماأنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده... الحديث" وهذه رواية البخاري رحمه الله.

قال التجيبي: قلت: في هذا الحديث أن أول مانزل على النبي صلى الله عليه وسلم، سورة العلق، وهو مذهب ابن عباس، وابن الزبير رضي الله عنهم أجمعين، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول إن أول مانزل: "ياأيها المدثر" ويورد الأسانيد لرواية جابر (رضي الله عنه) ويقول عن حديثه: صحيح، رواه الإمام مسلم بن الحجاج عن أبي موسى العنزي، عن عثمان بن عمر بن فارس... فوقع لنا بدلا عاليا له، ولله الحمد والمنة..والتجيبي يبحث عن الأسانيد العالية، ويكون مسرورا بها، ويحمد الله تعالى بالحصول عليها، وبعد هذا ينقل بسنده، إلى نصر الخزاز عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرى فتزعزع بهم الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسكن حراء فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد، وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعلي عثمان وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، قال التجيبي ثبت حرى في روايتنا هذه في الموضع الأول بالقصر، وفي الثاني على الصواب بالمد، وبقي من العشرة المشهود لهم بالجنة أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهم أجمعين، وحشرنا معهم، إني أن يقول:

دخلنا الغار المبارك وصلينا فيه ودعونا... وهذا الغار سهل للدخول، وهو شبه الحوض، قعدنا بإزائه مع جملة من المجاورين، فتلونا سورة العلق، والمدثر، والمزمل...

فالتجيبي رحمه الله حدثنا عن معلمتين بارزتين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، وفي مسيرة الدعوة الاسلامية، وهما: غار ثور، وغار حراء، فكل واحدة من المعلمتين له دلالاته الموحية بعظمة ديننا الإسلامي، وعظمة صاحب الرسالة الخاتمة الذي اختاره رب العالمين لهذا الشرف العظيم، حيث كان صلى الله عليه وسلم مسك الختام لسلسلة النبوات والرسالات السماوية، التي عملت على هداية الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، لقد حمله الله تعالى رسالة جمعت كل فضائل الرسالات السابقة، وتممت مكارم الأخلاق والهداية الربانية التي أكرم الله بها عباده المؤمنين المتقين في سائر الأزمنة والعصور، رسالة المحبة والاخوة الإنسانية، وتكريم الانسان على وجه الأرض ليكون في مستوى هداية الوحي الرباني، لقد بعثت الرسالة الخاتمة عقيدة التوحيد التي انطمست معالمها عند الناس جميعا قبل بعثة صاحب الرسالة الخاتمة، وحتى عند المنتمين للرسالات السماوية: قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فكيف بالامم الأخرى من الوثنيين والمشركين وعبده الطاغوت، لقد كانت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنقاذا للبشرية جمعاء من ظلمات الشرك، فمن غار حراء كانت البداية لنشر تعاليم الرسالة الخاتمة، رسالة التوحيد الخالص، ورسالة مكارم الأخلاق، ومن غار ثور، كانت الانطلاقة لتأسيس دولة خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله وحده لاشريك له، فللمعلمتين بعدهما الإيماني، والحضاري، والدعوي، والتاريخي... ولذا وقف رحالتنا التجيبي عندهما بإجلال وخشوع، وقال عنهما ماحضره من آيات بينات، ومن أحاديث وآثار كريمة، ليؤكد الأبعاد الإيمانية التي يوحي بها التأمل البعيد الأفق، لما تحمله هذه المشاهد من سمو المعاني وعميق الدلالات، والذكريات التي تؤكد أن رسولنا صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله، ونشر دعوة ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.وإلى حلقة أخرى بحول الله.

الوثاق

مباحث الإمامة

للعلامة عبد القادر الفاسي

■ الأستاذ : إدريس كـرم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.
باسم الله الذي من اعتصم بحبله نجى وسلم، وأصلي على محمد نبيه وآله وأسلم، صلاة وسلاما يتعاقبان، ما جهل حكم أو علم.
هذه أجوبة متسائل كثر فيها اللغط والشغب وقام لها انتصار والحجاج لها طوائف من كل حدب، لإشارة من إشارته عزم، وإسعاف مرغوبه على حتم، متوخيا في ذلك فصوص النصوص، متنكبا عما يحتمله العموم والخصوص، لأن ذلك أدعى للقبول وأسرع لحسم اللجاج والمقول، فنقول والله المعين على بلوغ المأمول.

❖❖❖ فإن قلت علمنا حكم من ثبت عدالته وتحققت، وعلمنا حكم من ثبت فسقه وجوره هل يقاتل معه أم لا؟ فما حكم من جهل أمره؟ فالجواب أنه لا ينبغي المسارعة إلى نصرته، والقتال معه، حتى تتحقق عدالته، ويشتهر بها، ففي تفسير القرطبي عند قوله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" لا ينبغي للناس أن يسارعوا إلى نصرة مظهر للعدل، وإن كان الأول فاسقا، لأن كل من يطلب الملك يظهر من نفسه الصلاح حتى يتمكن فيعود إلى خلاف ما أظهر.

❖❖❖❖❖

وأما أنه يقاتل مع الإمام مطلقا، ويدافع عنه إن كان برا أو فاجرا، فلا أعلم لهذا قائلا، ولا يخفى عليك مما سطر قبل من نصوص العلماء الأيمة، أنه غير موجود، نعم اختلف في ذلك في جهاد الكفار وقتالهم، فالذي رجع إليه مالك وعليه جماعة من الصحابة والتابعين، جواز الجهاد مع الجائر، لحديث الجهاد ماض منذ بعث الله نبيه، لا ينقضه جور من جار ولا عدل من عدل، وهذا هو المشهور، ومقابله لا يقاتل مع الجائر، وهو مشهور أيضا،

❖❖❖❖❖

وغاية ما رأيته في ذلك، ما قاله الشيخ بن عبد السلام أو ما قاله غير واحد كما تقدم، من أنه يجب نصرة العدل والإمام الحق، وجوب كفاية، لأنه من تغيير المنكر، وقد علمت أن تغيير المنكر من فروض الكفاية، بشروط معلومة، مقررة في محالها، من جملتها، أنه إنما يأمر وينهى، من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمة، كالصلاة والصيام، والزنا والخمر، ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال وما يتعلق بالاجتهاد، ولم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم انكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء، إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه، فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد، والمخطيء غيرمتعين لنا، والإثم مرفوع عنه، لكن ان ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر، قاله النووي.

❖❖❖❖❖

فإن قلت النصوص من أغراب وغيرهم يفسدون في الأرض ويقصدون لنهب الأموال والسلب، ويعمدون إلى البساتين والغروس فيأخذون غلتها، ويكسرون شجرها، إلى غير ذلك من مفاسدهم، لاسيما إن كانوا مستندين إلى الأمير هل حكم أولئك حكم المحاربين؟ فيدافعون؟ أم كيف يفعل في ذلك؟

فاعلم أن هؤلاء المتلصصين إن كانوا من أهل الخلاف على الإمام الأعظم فلا إشكال أنهم محاربو، وأما إن كانوا معه وكانوا بهذه الحالة منا قال البرزلي، سئل شيخنا بحضرتي في هذه المسألة فقال إن كانت للسلطان بهم حاجة، فلا يكونوا محاربين، ويدافع أمرهم بتيسير، حتى يوسع الله على المسلمين بما يريحهم مع إمامهم، فقلت يا سيدي الصواب أنه إذا جاء يريد نفسه أو ماله أو حريمه، وإلا كابره بالسلاح، فالصواب أنهم كالسلابة يدفع عن نفسه وماله وحريمه، إلا أن يكون ينصرف بشيء يعطاه يسيرا، فيكون كالسلابة إذا طلبوا شيئا يسيرا فيعطوه على مذهب ابن القاسم، ولا يعطوه على مذهب سحنون وابن الماجشون، فإن قتالهم من تغيير المنكر، فسكت عني.

❖❖❖❖❖

وفي المدونة جهاد المحاربين جهاد ابن شعبان، جهادهم أفضل من جهاد الكفار، ولابن رشد في رسم مدير ماله من نوازل اصبغ جهاد المحاربين عند مالك وأصحابه جهاد قال أشهب عنه من أفضل الجهاد، وأعظمه أجرا.

وقال مالك في أعراب قطعوا الطريق، جهادهم أحب إلي من جهاد الروم، قال شيخنا ذكره الشيخ من كتاب ابن سحنون، وابن يونس في الجهاد، قال عليه السلام من قتل دون ماله فأفضل شهيد قتل في الإسلام، بعد أن يتعوذ بالله وبالإسلام ثلاث مرات، وفي طريق آخر من قاتل دون ماله حتى قتل فهو شهيد، وعن ابن سيرين ما علمت ان أحدا من الناس ترك قتال من يريد نفسه وماله فآثما، أي مخافة الإثم انتهى كلام البرزلي،

وفي صحيح مسلم أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه، وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال لا تعطه مالك، قال أرأيت إن قاتلني، قال قاتله، قال أرأيت إن قتلني، قال فأنت شهيد، قال أرأيت إن قتلته، قال هو في النار، قال النووي فيه جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلا أو كثيرا لعموم الحديث، وهذا قول جماهير العلماء، وقال بعض أصحاب مالك لا يجوز قتله إذا طلب شيئا قليلا، كالثوب ونحوه من الطعام، والصواب ما قاله الجماهير، وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف، وفي المدافعة عن النفس بالقتل خلاف، في مذهبنا، ومذهب غيرنا، والمدافعة على المال جائزة غير واجبة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم، فلا تعطه فمعناه لا يلزمك أن تعطيه، وليس المراد تحريم الإعطاء، وأما قوله صلى الله عليه وسلم في العائل إذا قتل هو في النار، فمعناه انه يستحق ذلك، وقد يجازى، وقد يعفى عنه، إلا أن يكون مستحلا لذلك بغير تأويل، فإنه يكفر ولا يعفى عنه والله أعلم انتهى،

❖❖❖❖❖

وقال ابن العربي على قوله، والذين إذا أصابهم البغي الآية، ذكر الانتصار في معرض المدح، ثم ذكر العفو في معرض المدح ثم ذكر العفو، فاحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى حالين، أحدهما أن يكون الباغي معلنا بالفجور، وقحا في الجمهور، وموذيا للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل، وفي مثله، قال ابراهيم النخعي، يكره للمومنين أن يذلوا أنفسهم، فيتجرأ عليهم الفساق، وأما إن كانت الفلتة أن يقع ذلك ممن يتعرف بالزلة ويسأل المغفرة، فالعفو هنا أفضل، وفي مثله نزل وأن تعفوا أقرب للتقوى، وليعفوا وليصفحوا الآية.

تكميل :

روي عنه عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا، وذلك أنه ولي الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم سيدنا علي كرم الله وجهه، ثم سيدنا الحسن، ثم لما رأى الحسن أن الأمر استشرى عليه ورأى من تشتيت أراء من معه، وطعن حين خرج إلى معاوية فسقط عن فرسه وداوى جرحه، حتى برئ، فعلم أن عنده من ينافق عليه، ولا يأمنه على نفسه، ورأى الخوارج قد أحاطوا بأطرافه، وعلم أنه إن اشتغل بحرب معاوية، وكان ذلك بأسباب سماوية ومقادير أزلية، ومواعد من الصادق صادقة صلى الله عليه وسلم، قال إن إبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، صالح، لذلك كانت خلافته ثمانية أشهر، فكملت ثلاثين سنة، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما، قاله ابن العربي.

❖❖❖❖❖

وقال عياض:

قال بعض العلماء إن ترتيبهم في الخلافة كذلك، إنما هو لما سبق في علم الله تعالى، أن الأربعة يستخلفون، وان آجالهم متباينة فلو قدم غير أبي بكر ولم يكن أبو بكر خليفة، ولم تكن الخلافة ثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة.

ثم الفرق بين الخلافة والملك أن من كان مستوفيا للشروط المعتبرة، فهو خليفة، وإلا فهو ملك، وقيل إن من أخذ من الدنيا بأكثر ما يأخذ المترفون منها، فهو ملك، ومن أخذ منها ما أخذ الفقراء فهو خليفة، لقول علي رضي الله عنه، إن الله أخذ العهد على الخلفاء الا يتزينوا إلا بزي الفقراء، وقوله ملكا عضوضا في غريبي الهروي قال الازهري ملك عضوض، إذا نال الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يعضون فيه عضا، قال بعضهم والعض الرجل الخبيث الشرير،

❖❖❖❖❖

قال في شرح العقائد، وهذا الحديث مشكل، لأن أهل الحل والعقد من الأمة، كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية، وبعض المروانية، كعمر بن عبد العزيز مثلا، ولعل المراد أن الخلافة الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة، وقيل على المتابعة بكون ثلاثين سنة، وبعدها قد تكون، وقد لا تكون انتهى، ويؤيد التأويل الأخير وهو أن المراد تتابع الخلافة ثلاثين سنة، وبعدها قد تكون كخلافة عمر ابن عبد العزيز، والمهدي والقحطاني في آخر الزمان، ولكنها نادرة غير متتابعة لما روى انه قيل للحسن على سبيل المعارضة للحديث الوارد حسبما في البخاري عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فقيل للحسن ما بال عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج، فقال لابد للناس من تنفس، يعني أن الله ينفس عن عباده وقتا ما، ويكشف البلاء عنهم.

❖❖❖❖❖

وقال العلقي قد استشكل هذا الاطلاق مع أن بعض الأزمنة لا يكون في الشر كالتي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل لو قيل إن الشر اضمحل في زمانه، لما كان بعيدا فضلا عن أن يكون شرا من الذي قبله، وقد حمله الحسن البصري على الأغلب، فسئل عن عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال لابد للناس من تنفس، وأجاب بعضهم بأن المراد تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر ابن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه كثير الصحابة امنه لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون، أخرجه مسلم.

❖❖❖❖❖

ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالإتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة، عن زيد بن وهب، قال سمعت عبد الله بن مسعود، يقول، ألا ياتي عليكم يوم، إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله، حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش، ولكن لا ياتي عليكم يوم إلا وهو أقل علما، من اليوم الذي مضى قبله فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يامرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون انتهى.

وقال السعد في شرح العقائد أيضا، فإن قيل فعلى ما قلنا أن مدة الخلافة ثلاثون سنة، يكون الزمان بعد الخلفاء الراشدين خاليا عن الإمام، فتعصي الأمة، وتكون ميتتهم ميتة جاهلية، قلنا قد سبق أن المراد الخلافة الكاملة، ولو سلم فلعل دور الخلافة ينقضي من دور الإمامة بناء على أن الإمامة أعم، لكن هذا الاصطلاح مما لم نجده للقوم، وأما بعد الخلافة العباسية فالأمر مشكل انتهى.

❖❖❖❖❖

وقد أجاب البكري عن هذا الإشكال فقال: إن الوجوب مشروط بوجود من يصلح للإمامة والقدرة على تقديمه، وحينئذ لا يرد السؤال بأن يقال لو وجب نصب الإمام وجب إطباق الأمة في أكثر الأعصار على ترك الواجب، لانتفاء الإمام المتصف بما يجب من الصفات، من ذلك كله غير لازم، وإنما يلزم لوجود شخص موصوف بشروط الإمامة مع القدرة عليه، وذلك كله غير حاصل انتهى.

❖❖❖❖❖

وتقدم أيضا أولا أنه إنما يجب نصب القرافي والشاطبي، وذلك ليلا تبقى الأمة فوضى، فيتسلط القوي على الضعيف، وتمتد الأيدي العادية ولا يستقيم للناس دين ولا دنيا، وفي الجامع من حديث البيهقي عن أنس إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض، وفي كتاب الشكر من الاحياء، أعلى الأنبياء رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم ثم قال ويلي الأنبياء العلماء، الذين هم ورثتهم، فإنهم في أنفسهم صالحون، وقد أصلح الله تعالى بهم سائر الخلق، كما هدى بالأنبياء سائر الخلق، فتمم بهم حكمته، قال ودرجة كل أحد بحسب ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم السلاطين بالعدل، لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ثم قال ويلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا أنفسهم فقط، فلم تتم حكمة الله تعالى بهم إلا في أنفسهم، ومن عدا هؤلاء فهمة رعاع.

❖❖❖❖❖

واعلم أن السلطان به قوام الدين، فلا ينبغي أن يحتقر، وإن كان ظالما فاسقا، قال عمرو ابن العاصي، إمام غشوم خير من فتنة تدوم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم، سيكون عليكم أمراء يفسدون، وما يصلح الله تعالى بهم أكثر، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أساءوا فلهم الوزر عليكم الصبر، وقال سهل رحمه الله من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل.

وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان، فقال مهلا إن لله سبحانه في كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبكارهم، فيطاع في صحيفته، فيغفر له ذنوبه، وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم، خير من سعيد قاصا يقصون انتهى.

انتهى من خط من نقل من خط الإمام الجليل أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله بمنه بواسطة.

الحديث العاشر والمائة:سيدنا محمد (ﷺ) المعلم المثالي

الحلقة الاولى

في ظلال الحديث :

نص الحديث:

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: "...ما رأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه فوالله ماكهرني ولاضربني ولاشتمني..." رواه مسلم.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

هذا جزء من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (ج1/ص382/ح537). وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة (ج1/ص198/ح556) وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (ج1/ص245/ح930)وابن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث معاوية بن الحكم السلمي ج5/ص447/ح2383،ج5/ص449/ح 23818والدارمي في سننه، كتاب الصلاة، باب النهي عن الكلام في الصلاة ج1/ص422/ح1502والطحاوي في شرح معاني الآثار ج1/ص446 والطيالسي في مسنده ج1/ص150/ح1105. والطبراني في معجمه الكبير ج19/ص401/ح945والبيهقي في سننه الكبرى ج2/ص249/ح3165، وغيرهم.

درجة الحديث

هذا صحيح عند مسلم وغيره، ورجاله ثقات.

سند الحديث

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وقال: حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح وأبو بكر بن أبي شيبة وتقاربا في لفظ الحديث قالا حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن حجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة.

أبو جعفر محمد بن الصباح: هو أبو جعفر الدولابي الحافظ المتقن محمد بن الصباح، له أحاديث في الصحاح والسنن. وثقه أحمد وكان يعظمه، وقال أبو حاتم ثقة حجة وقال يعقوب بن شيبة ثقة صاحب حديث عالم بهشيم وقال ابن سعد مات بالكرخ في المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين(227) رحمه الله تعالى.

أبو بكر بن أبي شيبة هو أبو بكر ابن أبي شيبة الحافظ عديم النظير الثبت النحرير عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي صاحب المسند والمصنف وغير ذلك سمع من شريك القاضي وأبي الأحوص وابن المبارك وابن عيينة وجرير بن عبد الحميد وطبقتهم وعنه أبو ورعة والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وأبو بكر بن أبي عاصم ويقي بن مخلد والبغوي وجعفر الفريابي وأمم سواهم قال أحمد أبو بكر صدوق وقال العجلي ثقة حافظ وقال الفلاس: مارأيت احفظ من أبي بكر بن أبي شيبة، وكذا قال أبو زرعة الرازي وقال أبو عبيد: انتهى الحديث إلى أربعة فأبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له وأحمد أفقههم فيه، وابن معين أجمعهم له، وابن المديني أعلمهم به وقال الخطيب: كان أبو بكر متقنا حافظا صنف المسند والأحكام والتفسير قال البخاري: مات في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين(235)رحمه الله تعالى.

إسماعيل بن إبراهيم: هو أبو بشر إسماعيل بن ابراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم البصري المعروف بابن علية، أصله من الكوفة، قال علي بن الجعد ابن علية ريحانة الفقهاء وقال يونس بن بكير سيد المحدثين وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، توفي يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة (193) رحمه الله.

حجاج الصواف: هو أبو الصلت حجاج بن أبي عثمان الصواف بصري، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه واسحاق بن منصور عن يحيى ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والترمذي والنسائي ثقة زاد أحدم شيخ، وزاد الترمذي حافظ، قال خليفة بن خياط مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (143) روى له الجماعة.

يحى بن أبي كثير: هو أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائي اليمامي أحد الأعلام ثقة حسن الحديث، قال شعبة هو أحسن حديثا من الزهري وقال أحمد بن حنبل: إذا خالفه الزهري فالقول قول يحيى، وقال ابو حاتم ثقة إمام لايروي إلا عن ثقة وروى وهيب عن أيوب السختياني قال مابقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير وقد روى أن يحيى امتحن وضرب وحلق لكونه انتقص بني أمية قال جماعة انه توفي سنة تسع وعشرين ومائة (129) رحمة الله عليه.

هلال بن أبي ميمونة: هو هلال ابن علي بن أسامة ويقال هلال بن أبي ميمونة القرشي العامري المدني روى عن الصحابة والتابعين، قال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه وقال النسائي ليس به بأس وذكره بن حبان في كتاب الثقات قال الواقدي مات في آخر خلافة هشام بن عبد الملك روى له الجماعة.

عطاء بن يسار: هو أبو محمد عطاء بن يسار الإمام الرباني المدني مولى أم المؤمنين ميمونة الفقيه الواعظ روى عن خلق من الصحابة، وكان ثقة جليلا من أوعية العلم يقال مات سنة ثلاث ومائة (103)وهو بن أربع وثمانين سنة، روى له الجماعة.

معاوية بن الحكم السلمي: هو أبو عمر معاوية بن الحكم السلمي، كان يسكن بني سليم وينزل المدينة قال البخاري: له صحبة يعد في أهل الحجاز.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم يؤسس لمنهج تربوي عظيم، سواء في التربية عامة أو معالجة الأخطاء خاصة، ولقد أوردنا بمناسبة الدخول المدرسي للتنبيه على ضرورة الرجوع إلى المعلم القدوة، وهو نبينا وحبيبنا وقدوتنا سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم، لعل كل من له علاقة بالتربية (مربين، وأولياء وتلاميذ وطلبة...)أن يصححوا المنهج ويقوموا الاعوجاج انطلاقا من التعاليم والتطبيقات التربوية النبوية العظيمة.

مفردات الحديث:

"كهرني": إذا اشتد علي وزجرني وعبس في وجهي.

المعنى العام

في هذه الأيام تفتح المؤسسات التعليمية أبوابها، ويقبل عليها تلاميذها وطلابها نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذا العام عام نجاح وتوفيق لهم، وأن يجعله عام عزة ونصرة للإسلام والمسلمين.

1. وقفة مع الحديث:

هذا جزء من حديث طويل. كما أشرنا. حيث يروي لنا فيه معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه، ما جرى له عند مقدمه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما وقع من خطأ في الصلاة، حيث تكلم جاهلا، ومالقي من تعنيف معنوي من طرف الصحابة رضي الله عنهم، وفي مقابل ذلك عطف ورأفة ورحمة وشفقة النبي صلى الله عليه وهو يصحح له خطاه ويوجهه ويرشده ويعلمه، مما جعله يقول: "مارأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه" ولقد صدق ورب الكعبة.

وهذا بيان ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل والمخطئ، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه، كيف لا ، وهو الذي يقول: "إنما بعثت معلما".

ومن خلال ماذكر يتبين لنا أننا نحتاج إلى وقفة تصحيحية، نراجع فيها مواقفنا ومناهجنا، وإنني أقصد بطبيعة الشركاء الطبيعيين في العملية التربوية التعليمية، انطلاقا من المربين والمربيات، على اختلاف مستوياتهم وأسلاكهم ودرجاتهم، وأماكن عملهم، وكذلك الأباء والأولياء لأنهم ركن أساسي في عملية التربية والتعليم، وبدونهم قد يكون مايقوم به المربي المعلم، لايجدي ولاينفع، دون أن نغفل العنصر الأساسي، الذي هو التلميذ أو الطالب مهما بلغ سنه ومستواه، فهو في مرتبة المتعلم...

واستظلالا بوافر ظلال هذا الحديث واستئناسا بهذه الحادثة من السيرة النبوية، ومحاولة منا من خلال هذا الحديث تذكير أطراف العملية التربوية التعليمية، بهذه الأخلاق العالية والشمائل المحمدية، فمن كان منهم متصفا بها فليحمد الله تعالى وليستزد من الخير، ومن كان لها مفتقدا فعليه أن يرجع إلى أخلاق وشمائل الحبيب المصطفى ليراجع ويصحح ماهو عليه من خطأ قبل فوات الأوان، فالمهمة جسيمة والأمر عظيم، والسؤال يوم القيامة لامحالة، وهذه تذكرة وموعظة لمن شاء أن يتعظ ويتذكر...

2 كلمة إلى رجال ونساء التربية والتعليم

يامعشر رجال ونساء التربية والتعليم، يا من يسهرون على تربية النشء: يا من جعلكم الله مشاعل للنوروالرحمة هاهم أبناء المسلمين وبناتهم قد أقبلوا عليكم محبين مجلين أقبلوا عليكم بكل شوق وحنين ينتظرون منكم علوما نافعة، ينتظرون منكم الوصايا الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، فخذوا بمجامع تلك القلوب إلى الله، ودلوها على محبة الله ومرضاته، واغرسوا فيها الإيمان والإحسان والعبودية لله، وحب العلم والعمل به، دلوهم إلى كل ماينفعهم في الدنيا والآخرة (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)فصلت/الآية:33. "والدال على الخير كفاعله".

يا مشاعل النور والرحمة والحكمة: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، فأخلصوا . وفقكم الله . لله القول والعمل.

قال الحسن البصري رحمه الله: لايزال الرجل بخير إذا قال: قال لله، وإذا عمل: عمل لله، الإخلاص هو الهدى والنور، عاقبته الرضا والسرور، وجنات الفردوس والحبور، ما كان في قليل إلا كثره، ولايسير إلا باركه، قال بعض السلف رحمهم الله: كم من عمل قليل كثرته النية.

يامشاعل النور والرحمة: رسالة العلم رسالة التعليم تأسي واقتداء بأشرف الخلق سيدنا محمد (ﷺ)، كان خير المعلمين وإمام المربيين والموجهين، كان خير المعلمين كما قال معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه وأرضاه في الحديث : "فبأبي وأمي مارأيت معلما كرسول الله ما كهرني ولاضربني ولاشتمني)، وقال أنس بن مالك (ﷺ): "ما لمست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله (ﷺ)، ولقد صحبته عشر سنين ما قال لي يوما أف"أخرجه البخاري ومسلم.

كان خير المعلمين، وكان خير المربين، حينما كان حليما رحيما رفيقا رقيقا، ييسر ولا يعسر، ويبشر ولاينفر، كان خير المعلمين حينما كان طليق الوجه دائم البشر والسرور. قال جرير (رضي الله عنه): "مالقيت النبي إلا تبسم في وجهي"أخرجه البخاري ومسلم.

أقبل أبناء وبنات المسلمين على المعلمين والمعلمات، حقوق وواجبات، أمانات ومسؤوليات برأت من حملها الأرض والسموات، وأشفقت من عبئها الجبال الشم الشامخات الراسيات، حمل هذه الأمانات المعلم، حملتها المعلمة، حملها كل واحد منهما أمانة على ظهره ووضعها في رقبته وعنقه، لكي يرهن بها بين يدي الله ربه، فطوبى ثم طوبى للمخلصين والمجدين والمجتهدين والمثابرين الناصحين، ثم ويل وويل للمستهزئين والمستخفين والمضيعين (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) العنكبوت/الاية:13.

يامعشر المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات: انعقدت عليكم الآمال بعد الله ذي العزة والجلال، انعقدت عليكم في هداية الناس من الضلال، في تعليم الجاهل وتربية السفيه، سيأتيكم أقوام وفئام، يأتيكم الجاهل بجهله، والسفيه بسفهه، فاصبروا رحمكم الله وصابروا واغرسوا بأيديكم بذورا قريبا يكون ثمارها، وقريبا يكون حصادها، اغرسوا بأيديكم العلوم النافعة، واغرسوا بأيديكم الأخلاق الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

التعليم رسالة عظيمة تقلدها الأنبياء، وورثها العلماء، وقال بها الأخيار والصلحاء، فطوبى لمن عرف حقها، وأدى حقها على الوجه المطلوب الذي يرضي الله جل جلاله.

واعلموا رحمكم الله أنكم بناة الإنسان الذي تنصلح به أمور الدنيا والآخرة، وأنتم كذلك بناة الدول والحضارات، فما أحوج الأمة إليكم اليوم أكثر مما مضى، فتسلحوا بأوصاف خير المربين، وسيد المعلمين، وكونوا في الموعد، ولينصرن الله من ينصره...

وإلى الحلقة المقبلة مع رسالة التلاميذ والطلاب وأولياء أمرهم، استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه...

حديث المنابر

الموسم الدراسي الجديد

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطليبي كدير

الخطبة الأولى:

موسم دراسي جديد يهل علينا فماذا أعددنا لإعادة النظر في مناهجنا التربوية والتعليمية لتلافي أخطاء الماضي وإحسان التخطيط المستقبل.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي فطر الناس والخلق أجمعين على فطرته السوية المستقيمة وأسس عليها الدين القيم الذي ارتضاه للناس، أشهد أنه الله لاإله إلا هو وحده لاشريك له ، لانعبد إلا إياه ولانستعين بسواه، ولا نستقيم إلا بصراطه المستقيم فهو جل وعلا على صراط مستقيم، وهو الرب الخالق الرازق المربي لخلقه اجتبى خيرة خلقه وهداهم إلى الصراط المستقيم وأمرهم بالاعتراف بربوبيته وحسن عبادته وجعل ذلك الصراط المستقيم، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله خير خلق الله لأنه يدعو إلى الله رب العالمين إلى صراط مستقيم على هدى مستقيم بالقسطاس المستقيم يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ينير للناس كل الناس طريقهم ويمهدلهم سبيلهم حتى لايمشي أحد منهم مكبا على وجهه ضالا ومضلا فاتنا مفتونا بل ليمشوا جميعا أسوياء على صراط مستقيم، إنه رسول الله المربي الخالد سيد المرسلين وإمامهم على صراط مستقيم، يدعو إلى الصراط المستقيم صراط العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض يهدي بكتاب الله إلى التي هي أقوم ليقوم الناس لله ويشهدوا لله بالقسط... فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون البررة الكرام، هاهو موسم دراسي تربوي جديد يهل علينا، فماذا أعددنا له من حسن إعادة النظر في مناهجنا التربوية والتعليمية؟ ماذا أعددنا له من الخطط الحكيمة الرشيدة التي نتلافى بها أخطاء الماضي؟ ماذا أعددنا له من البرامج والمناهج والمقررات والكتب المدرسية التي نؤسسها ونبنيها على مصادرنا التربوية الحقيقية التي ليس لنا سواها ولانرضى بها بديلا والتي تحفظ لنا هويتنا وإنسانيتنا وامتيازنا وحضارتنا ومقوماتنا؟ اين نحن في تربيتنا وتعليمنامن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والقدوة الصالحة والأسوة الحسنة لسلفنا الصالح، والاقتباس السديد الرشيد من تجارب غيرنا بدون أن نفنى أو نذوب أو نتلاشى فيهم؟

إننا جميعا آباء وأمهات، نحمل جميعا هموم تربية أبنائنا وبناتنا وتعليمهم، وضمان حسن إعدادهم لمستقبل سعيد رغيد يتحملون فيه هم بدورهم مسؤوليتهم كاملة، إنها مسؤولية نتحملها مضطرين ونتحملها في نفس الوقت مختارين واعين، اضطرارنا منبعث من اننا نحمل عبء الأمومة والأبوة بحكم الطبع والغريزة والطبيعة وبواجب التناسل المفروض لتكثير النسل الإسلامي الصالح للأمة الإسلامية في هذا الجزء الغربي الأقصى من العالم الإسلامي الفسيح الشاسع، واختيارنا ووعينا ينبع من سعادتنا بأن نرى ثمرة غرسنا تنبت نباتا حسنا وتنمو وتزكو لتنفع البلاد والعباد وجميع الخلق عيال الله. إن كل ولد أو بنت في أي مكان من المغرب الحبيب هو ولد أو هي بنت لكل والد أو والدة على الأرض الطيبة من المغرب الحبيب... حتى من لم يكتب له الزواج أو الولد ينبغي أن يحس بهذه المسؤولية الكبرى... وخصوصا من حملهم الله هذه المسؤولية رسميا بحكم الأمومة أو الأبوة أو بحكم المهنة كالمعلمات والمعلمين والأستاذات والأساتذة ورجال التربية ونسائها على جميع المستويات ومنها الإدارية والتربوية، إنني أذكر من يسمعني منهم اليوم ومن سيبلغه تذكيري هذا بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حديثه المشهور العظيم الصحيح المتفق عليه الذي يقول فيه: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع مسؤول عن رعيته" إذن نحن كلنا مربون لكل ابنائنا وبناتنا في حدود ما يتحمله كل منا من مسؤولية هذه التربية، وأكبر المسؤولية يتحملها من يمارسون التربية والتعليم مهنة يرتزقون منها، وأكبر منها مسؤولية من يدير العملية التربوية التعليمية ويخطط لها، والجميع أخاطبهم بما خاطبهم به أحد علماء المسلمين الكبار في العصر الحديث، إنه يخاطب كل واحد منهم باعتباره الكفيل لكل طفل من أطفال المسلمين ذكرا كان أو أنثى فيقول له محذرا منذرا: "أيها الكفيل، إذا ألقيت مسؤولية الطفل في مواقع وخيمة أخشى أن يضاعف لك العذاب ضعفين، تعذب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذابا نكيرا، وتحوز من تلك الجناية العامة نصيبا مفروضا" نعم إن كل ناشيء يربى ويعلم سواء كان طفلا أو مراهقا أو شابا هو عند الله تعالى وينبغي أن يكون كذلك عند الناس جوهرة مكرمة ينبغي صيانتها وحفظ سلامتها أولا، وينبغي صياغتها ثانيا الصياغة التي تناسب قيمتها وجمالها وحجمها صياغة تزيدها جمالا ولمعانا وبريقا وإشعاعا وسطوعا وقيمة وإبداعا... وإن أي خطأ متعمد وحتى غير متعمد ناتج عن جهل أو تقصير أو قصور أو إهمال أو تهاون أو إخلال بالمسؤولية أو خيانة للأمانة يؤدي إلى تشويه تلك الجوهرة المكرمة النفيسة، وإفساد نفس إنسانية كانت صالحة سوية في فطرتها الأولى التي فطرها الله عليها وهذه جريمة ينبغي ألا يغتفرها المربي ، المسؤول أو الإداري المؤتمن لنفسه والا يغتفرها له المجتمع، لأنها جناية عامة على المجتمع كله بإفساد مورد بشري هام هو ثروة هائلة لاتقدر بثمن.. وكل إنسان أيا كان هذا الإنسان هو قيمة غالية لاتقدر بثمن ولايمكن تقويمها أبدا بأي قيمة مادية أو معنوية لأنه أغلى وأعلى وأسمى من كل قيمة.. إنه إنسان وكفى... وأي إفساد لتربيته هو قتل لمعنويته وقيمته كإنسان، ولعلي لا أكون مبالغا أو متجنيا إذا اعتبرت أن قتل معنوية إنسان بالإساءة إلى تربيته وإفسادها عن قصد وسوء ونية أو عن إهمال وجهل مع حسن نية هو جريمة نكراء لاتغفر في حق ذلك الإنسان وفي حق المجتمع الذي ينتمي إليه ذلك الإنسان.

إننا مأمورون بالقرآن الكريم بوقاية أنفسنا وأهلنا جميعا من النار وكل ما يؤدي إليها من المخازي والموبقات وبناتنا وابناؤنا أعز علينا من أنفسنا لأنهم أنفس من نفوسنا لأنهم يمثلون . المستقبل المديد الرغيد السعيد كرجاء نحمل على تحقيقه وكأمل نسعد بأن نكون نحن ممن شارك في تحقيقه بالقول والفعل وبالنية والعمل ولهذا يخاطبنا الله تعالى نحن المؤمنين: "ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون". ولكي نحقق لأبنائنا وبناتنا مانرجوه لهم من التربية الصالحة والتعليم القويم على صراط مستقيم ينبغي لنا بل يجب علينا جميعا في إطار مسؤولية الرعاية والوقاية وحسن الكفالة لهم والتي تطوق أعناقنا جميعا كأفراد ومجتمع وأمة أن نصوغ منهجا تربويا عاما يحدد لكل دوره الدقيق المرسوم بكل وضوح وتدرج ويوعي في تحقيق التربية الإسلامية لكل فرد من أبنائنا وبناتنا في الأسرة أولا، ثم في المدرسة ثانيا ثم في المعهد أو الكلية ثالثا، ثم في الحياة كلها قبل ذلك وخلاله وبعده لأن التربية والتعليم في الإسلام يستغرقان عمر الإنسان كله من المهد إلى اللحد يربي فيها المؤمن نفسه وغيره لأنه مرب بل ، ومربى مادام حيا إلى أن يلقى الله، يربي نفسه وغيره روحيا وعقليا وخلقيا وجماليا وجسميا واجتماعيا وعلميا بالعبادات المفروضة والمسنونة والنافلة وبالقدوة الحسنة والمثل الأعلى في شخص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وفي سلوك السلف الصالح وعظماء بني الإنسان من حكماء وعلماء، وبالتعلم الذاتي عن طريق القراءة والكتابة وخوض تجربة الحياة بالعمل والممارسة والترويح البريء عن النفس في غير انغمار أو انغماس في اللهو الذي يميع النفس الإنسانية ولا في اللغو الذي لا يليق بالكرامة الإنسانية، ونسأل الله تعالى العلي القدير الرب الكريم الذي من معاني ربوبيته حسن تربية عباده وتسويتهم وتعديلهم وتقويمهم أن يوفق الأمهات والآباء وكل الأولياء إلى حسن تربية البنات والأبناء على منهج التربية الموضح في الكتاب الكريم وسنة النبي الأمين وسيرة السلف الصالح وكرام عظماء البشر ممن ندروا أنفسهم للرفع من شأن الإنسان طفلا كان أو مراهقا أم شابا أم كهلا أم شيخا فكل إنسان كريم في كل مراحل حياته... اللهم حقق لبناتنا وابنائنا على هذه الأرض الطيبة حيثما حلوا منها أو ارتحلوا وعدك الحق بأن تريهم آياتك في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق، ولن يعرفوا الحق إلا بك ياحق وبأن نربيهم نحن على الحق فأعنا على ذلك ووفقنا وسددنا وارشدنا وانت من وراء القصد وأنت تهدي السبيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وسواه فعدله وفي أحسن صورة وأبدعها وأجملها ركبه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خير المربين وإمامهم وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه فقد ربانا وأحسن تربيتنا ومن أبسط وأجمل ماربانا عليه أن نحسن تقدير كرامتنا في إنسانيتنا كل منا في نفسه وكذلك في غيره من إخوته من بني جنسه أي الناس أجمعين ولذلك علمنا أن يدعو كل منا إذا نظر إلى وجهه في المرآة بهذا الدعاء العظيم "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي" ليربي كل منا نفسه على منهج إسلامي قرآني نبوي بسيط واضح جامع شامل يستطيع كل إنسان أن يطبقه في نفسه فيسعد هو ويسعد الناس من حوله، وقد صاغ هذه التربية الذاتية الإسلامية السامية أحد رجال السلف الصالح هو الإمام الحارث المحاسبي رحمه الله في عشر وصايا تربوية هي:

1. لاتحلف بالله صادقا ولا كاذبا ولاعامدا ولاساهيا.
2. إياك والكذب في هزل أو جد.
3. احذر أن تعد أحدا شيئا فتخلفه إياه...
4. إياك أن تلعن شيئا من الخلق أو تؤذي نملة صغيرة فما فوقها..
5. إياك أن تسب أحدا من الخلق أو تدعو عليه بشر.
6. إياك أن تشهد على أحد من المسلمين بكفر أو شرك أو نفاق.

فإنه أعلى في السنة ومن تمام السنة و أبعد من الدخول في علم الله عز وجل..

7. إياك والنظر والغمز والهمز إلى شيء من معاصي الله تعالى في باطن ولا ظاهر وكف عنها جوارحك...
8. إياك أن تجعل اعتمادك أو موونتك أو توكلك على أحد في صغير أمورك وكبيرها، فيما تحتاج إليه أو تستغني عنه...
9. اقطع طمعك عن الآدميين ولا تطمع نفسك في شيء مما في أيديهم...
10. الا تلقى أحدا من الناس إلاوتعرف له فضله عليك وتقول في نفسك تواضعا: عسى أن يكون هذا عند الله خيرا مني وأرفع درجة، فإن كان صغيرا قلت:هذا نقي بريء طاهر لم يعص الله وأنا عصيته، وإن كان كبيرا قلت: هذا سبقني إلى عبادة الله تعالى. وإن كان عالما قلت: هذا نال من العلم ما لم أنل مثله. وإن كان جاهلا قلت: عذره في معصيته أنه جاهل ولاعذرلي وأنا أعلم منه ولاأدري فلربما يختم له بخاتمة خير، وإن كان كافرا قلت: لاأدري فلعل في علم الله تعالى أن يعرف هذا الإسلام وحقيقته فيسلم ويختم له بخير العمل...

فاللهم اجعل أساس تربيتنا لأنفسنا ولأبنائنا وبناتنا في بيوتنا ومؤسساتنا التربوية التعليمية قائما على التقوى وصدق النية معك والعمل وفق إرادتك ومشيئتك في حب الناس كل الناس وجلب منافعهم ودفع مضارهم...اللهم أصلح تربيتنا لأنفسنا ولذريتنا بنين وبنات واجعل نتيجتها صلاح آخرتنا ودنيانا، ونجاة لنا ولهم من المهالك والمعاطب والمفاسد، اللهم أغنا بك عمن سواك، واجعلها صلة لنابك واعتصاما بحبلك المتين... أمير المؤمنين محمد السادس اللهم اجعل له من صالح نيته وعمله الجند الذي لايهزم والحارس الذي لايغفل والكسب الذي لاينفد.. اللهم كن له في سعيه للخير والبر والهدى الولي والنصير والمعين والسند والظهير ويسر له إلى الإصلاح والنجاح والفلاح كل أمر صعب وعسير، وأقر عينه بولي عهده المولى الحسن وشقيقه الرشيد وبسائر أهله وولده وشعبه وكل من يمت إليه بصلة حب وولاء ابتغاء مرضاة الله.

الرهن العرفي: عادة منكرة ومعاملة فاسدة

■ إعداد الأستاذ: حسن العدوي

الرهن الإسلامي مقارنا بالرهن العرفي

بعد الحمد والثناء على الله والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد

قال الله تعالى في كتابه الكريم "وإن كنتم على سفر ولن تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم".

تعريف الرهن:

الرهن في اللغة معناه: الثبوت والدوام يقال: "ماء راهن أي راكد. ونعمة راهنة أي دائمة"

وقال بعضهم: إن معناه في اللغة الحبس لقوله تعالى : "كل نفس بما كسبت رهينة" اي محبوسة بما قدمته. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "نفس المومن مرهونة بدينه حتى يقضى عنه".

"والمعنى الثاني لازم للمعنى الأول لأن الحبس يستلزم الثبوت بالمكان وعدم مفارقته".

والرهن في الشرع: "المال الذي يجعل وثيقة بالدين ليستوفى من ثمنه إن تعذر استيفاؤه ممن هو عليه" وعرفه الجزيري بقوله: "جعل عين لها قيمة مالية في نظر الشرع وثيقة بدين بحيث يمكن أخذ الدين أو أخذ بعضه من تلك العين".

وعرفه الشيخ خليل رحمه الله بقوله: "الرهن بذل من له البيع مايباع أو غررا ولو اشترط في العقد وثيقة بحق".

وأخيرا ابن عرفة الذي عرفه بقوله: "ماقبض توثقا به في دين"

وعرفه القانون المدني المغربي في الفصل 1170بقوله: "الرهن الحيازي عقد بمقتضاه يخصص المدين أو أحد من الغير يعمل لمصلحته شيئا منقولا أو عقارا أو حقا معنويا لضمان الالتزام وهو يمنح الدائن حق استيفاء دينه من هذا الشيء بالأسبقية على جميع الدائنين الأخرين إذا لم يف له به المدين" قانون الالتزامات والعقود المغربي الفصل 1170.

"هذه هي التعريفات التي عرف بها الرهن عند فقهاء المسلمين قديما وحديثا وإذا قارنا الرهن الإسلامي الذي أقره الفقهاء بما يجري في زماننا هذا باسم الرهن وجدنا هذا الأخير ليس في شيء من المعاملات الإسلامية الجائزة فهو بعيد بعد المشرقين من هذه المعاملات الإسلامية التي أقرها وأجازها الكتاب والسنة والإجماع".

وذلك أن صورة الرهن المراكشي هي: أن يتسلم إنسان ما . رجل أو امراة. مبلغا من المال من إنسان آخر على وجه السلف بشرط أن يدفع هذا المدين للدائن دارا يسكنها بدون مقابل مادام هذا الدين بذمته.

وقد يتفقان على شيء زهيد يدفعه الدائن للمدين كوجيبة كرائية لايمثل في غالب الأحيان ولو عشرا واحدا من القيمة الأصلية التي يستحقها المنزل المشغول. يفعلان ذلك احتيالا على الشريعة الإسلامية لتكون معاملتهما هذه معاملة جائزة. كما يفعل مثل ذلك الرجل الذي يطلق زوجته ثلاث مرات فيتفق مع رجل يثق به ليتزوج مطلقته دون أن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ثم يطلقها بعيد العقد لترجع إلي الأول بعقد جديد ظنا أن ذلك يهدم الثلاث، وهيهات أن يكون الامران جائزين فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

حكم الرهن الشرعي والرهن جائز بالكتاب والسنة والإجماع

أما الكتاب فقوله تعالى "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة" والرهان جمع رهن مثل حبل وحبال وبغل وبغال وكبش وكباش.

وقرئ "فرهن" وهو جمع رهان مثل كتاب وكتب وقيل: هو جمع رهن مثل سقف وسقف.

وقيل: الرهان جمع رهن. والرهن جمع الجمع.

"ومعنى الآية: أن الله تعالى أمر من يتعاقد مع غيره ولم يجد كاتبا يوثق له فليرهن شيئا يعطيه لمن له الدين كي يطمئن الدائن على ماله".

"والرهن يجوز في الحضر مع وجود الكاتب، والكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط".

"وليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في حالة السفر أخذا بظاهر الآية".

وأما السنة فلما روي في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم "رهن درعه عند يهودي يقال له أبو "الشحم على ثلاثين صاعا من شعير لأهله".

وفي هذا الحديث دلالة على ماكان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم من الانصراف عن مظاهر الحياة الدنيا وزخرفها والزهد في حطامها. فرسول الله (ص) الذي كانت تهتز لذكره عروش القياصرة وكانت الأموال تجبى إليه كومات مكدسة يرهن درعه من أجل التافه اليسير الذي تقتضيه ضرورة القوت ماذاك إلا لأن نفسه الكريمة تابى أن يكنز شيئا من المال ولو يسيرا فيقسم كل ما يأتي إليه بين الناس ولايأخذ منه لاقليلا ولاكثيرا. ألا إنه لرسول الله حقا وصدقا.

وفي الرهن عند اليهودي دلالة على جواز معاملة أهل الكتاب.

وأما الإجماع: فأجمع المسلمون على جواز الرهن في الجملة بشروط ذكرها الفقهاء في كتبهم.

حكم انتفاع المرتهن بالرهن

"الرهن عقد يقصد به الاستيثاق وضمان الدين وليس المقصود منه الاستثمار والربح ومادام ذلك كذلك فإنه لايحل للمرتهن أن ينتفع بالعين المرهونة ولو أذن له الراهن لأنه قرض جر نفعا وكل قرض جر نفعا فهو ربا".

وقال ابن قدامة في كتابه المغني: "الكلام في هذه المسألة في حالين: أحدهما ما لا يحتاج إلى مؤنة كالدار والمتاع ونحوه فلا يجوز للمرتهن الانتفاع به بغير إذن الراهن بحال لانعلم في هذا خلافا لأن الرهن ملك الراهن فكذلك نماؤه ومنافعه فليس لغيره أخذها بغير إذنه.

فإن أذن الراهن للمرتهن في الانتفاع بغير عوض وكان دين الرهن من قرض لم يجز لأنه يحصل قرضا يجر نفعا وذلك حرام قال أحمد: أكره قرض الدور وهو الربا المحض يعني: إذا كانت الدار رهنا في قرض ينتفع بها المرتهن.

وان كان الرهن بثمن مبيع أو أجر دار أو دين غير القرض فأذن له الراهن في الانتفاع جاز ذلك" فأما إن كان الانتفاع بعوض مثل إن استأجر المرتهن الدار من الراهن بأجرة مثلها من غير محاباة جاز في القرض وغيره لكونه ما انتفع بالقرض بل بالإجارة وإن حاباه في ذلك فحكمه حكم الانتفاع بغير عوض لايجوز في القرض ويجوز في غيره".

وقال ابن جزي في كتابه القوانين الفقهية: "والمنفعة في الرهن للراهن فإذا اشترطها المرتهن جاز إن كان الدين من البيع أو شبهه ولم يجز إن كان سلفا لأنه سلف جر منفعة فإن لم يشترطها المرتهن ثم تطوع له الراهن بها لم يجز لأنها هدية مديان".

وقال الإمام محمود شلتوت: "فالذي نراه أن الإذن. ويقصد الإذن بالتصرف في المرهون. إن كان منشؤه اضطرار المدين إليه دفعا لضغط الدائن عليه وهو في عسرة مالية يستحق بها المعونة من أخيه كان إذنا صوريا لايدل على الرضا وطيب النفس. وإذن فلا يحل للدائن أن يستند إلى هذا الإذن الصوري في استغلال أخيه المضطر المقهور. ولاشك أن انتهاز فرص الضرورة لاستغلال المعدم هو الروح الخبيث الذي لأجله حرم الله الربا..."

واستمر قائلا: "كيف وقد تمتد عسرة المدين الواقع في الضرورة مدة تصل فيها منفعة العين المرهونة إلى أضعاف الدين المضاعفة يستغلها الدائن باسم الإذن القهري مع بقاء دينه كاملا على المدين وكثيرا ماخربت به بيوت وافتقر ملاك.

.... ثم قال: "وبما أن أكثر مايجري بين الناس الآن في رهن الأرض هو من هذا النوع. الاستغلالي. فإنه ولاشك يكون حراما ويمقته دين الرحمة والتعاون".

وأخيرا قال: "ومن قبل شكا العلماء في مصر من انتشار هذه المعاملة المحظورة قال الصاوي من المالكية: "ومما عمت به البلوى في مصر جميعها. حتى لم يقدر احد من أهل العلم على رفعه. أن يبذل الرجل لآخر دراهم ثم يأخذ منه أرضا زراعية أو حائطا. بستانا. رهنا على أن يزرع الأرض أو يأخذ ثمن الحائط ما دامت الدراهم في ذمة آخذها، ثم زادوا في الضلال إلي انه إذا أراد آخذ الدراهم رد ما في ذمته ليأخذ أرضه أو حائطه توقف معطيها في القبول فتارة يشتكيه إلى أمرائها لينصروا الباطل وتارة يصالحوه على دفع شيء له ليستمر على ذلك السنة أو السنتين أو الأكثر، فإن لله وإنا إليه راجعون".

وجاء هذا المعنى في تحفة الحكام للقاضي أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي:

"وجاز في الرهن اشتراط المنفعة
إلا في الأشجار فكل منعه
إلا إذا النفع لعام عينـــا
والبدو للصلاح قد تبينا
وفي الذي الدين به من سلف
وفي التي وقت اقتضائها خفي

قال شارحه: "يعني انه يجوز للمرتهن أن يشترط منفعة الرهن بدون شيء معين كأن يبيع المرتهن للراهن سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ويشترط عليه رهن داره توثقا بدينه ويشترط عليه سكناها أيضا إلى الأجل مثلا وهذه المسألة من باب اجتماع البيع والإجارة في عقد واحد وهو جائز...

وأما إن كان الرهن الذي اشترط منفعته في دين من سلف فامنعه لعلة سلف جر نفعا".

أيها الإخوة المومنون: أرجو أن تكون هذه الخطبة حدا فاصلا وسدا منيعا بينكم وبين هذه المعاملة الفاسدة المحرمة فقد أطلت عليكم بالرجوع بكم وإحالتكم على المصادر الفقهية والإسلامية أطلتم فأطلت وأسرفتم فأسرفت وأسأل الله أن يكون هذا اليوم سبب إقلاعكم وتوبتكم من هذه المعاملة الخبيثة الاستغلالية ويجعل آذانكم آذانا صاغية وقلوبكم قلوبا خاشعة ويجعلكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الخلاصة

1. لقد أعرض الدكتور المحترم عن القرار الأول الصادر في 1988/02/11 الذي اعتبر هذه الصورة من المعاملات باطلة لاشتمالها على الربا المحرم ولم يؤيده مع أنه هو الذي يستحق التأييد وهو الذي صادف الصواب في هذه القضية وهو الذي ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية.

2. واستصوب ما جاء في القرار الثاني الصادر في 1994/11/28 جملة وتفصيلا واتخذه أساسا لبناء صرح افكاره وارضا لزرع آرائه محاولا نفي وجود معنى الربا المحرم في هذا الرهن المتعارف عليه بمراكش وعلل ذلك بخلو الوثائق التي بنيت عليها المعاملة من اشتراط الفائدة. وهذا تعليل واه وباطل لأن المقرض لولا أنه يريد أن يستفيد من استغلال الدار التي يسكنها مجانا أو بثمن بخس مقابل ذلك القرض لما رضي بدفع المبلغ الموجود في الوثيقة. وبالتالي لولا هذا المبلغ لما أخلى له المقترض داره بهذا الثمن الزهيد. وأنا لا أؤيد هذا القرار إلا من ناحية أنه يعتبر الصورة رهنا عرفيا الذي نحن بصدده.

3. فتح دكتورنا باب العرف على مصراعيه ودعا إلى تطبيقه في مثل هذه المسائل بصورة أصلية وادخل من هذا الباب الرهن المراكشي بحجة أنه يتداوله الناس ويعرفونه ولا ينكرونه وأنه لاحرج في قبوله والتعامل به مادام القضاء المغربي معترفا به في قراره الأخير. يجب علينا كمسلمين أن نعلم أن العرف لايحول الحرام حلالا ولا العكس فما أكثر مايتخذه الناس عادة مألوفة في زماننا هذا وهي من العادات المنكرة والمستقبحة عند آبائنا وأجدادنا بالأمس القريب فاللباس الفاضح الذي يستعمله النساء اليوم والمعاملات الربوية التي لم يسلم منها الفقير والغني وأنواع القمار الذي تعددت أشكالها وأصبحت الروائح الخبيثة التي تنبعث من كل ذلك تزكم الأنوف وصار الناس يتكيفون مع المألوفات كل ذلك يعد من العرف الذي لايقبل بحال أن ينتقل إلى دائرة الجواز.

4. كان يجب على الأستاذ المحترم. مادام الأمر يتعلق بالتحليل والتحريم. أن يتورع ولايتسرع ويترك هذا الأمر لذوي الاختصاص. علماء الحلال والحرام. ليقولوا فيه كلمتهم فاحترام الاختصاصات من أوجب الواجبات. وهذا لايعني أنني أجعل العلوم الشرعية محتكرة على فئة من الناس ولكن أقصد أن لايزاحم الطلبة الأساتذة والذين دون مرتبة الاجتهاد المؤهلين للفصل فيما استجد من الأمور بالقواعد التي بسطها علماء أصول الفقه في مؤلفاتهم.

5. يجب أن يعلم الجميع أن حكم القاضي لايحل حراما ولايحرم حلالا فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا بشر وإنه ياتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب انه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) رواه البخاري في كتاب المظالم.

6. إن هذه المعاملة الفاسدة "الرهن العرفي" لم تختص به مدينة مراكش وحدها بل انتشرت في كثير من المدن المغربية بل لم تقتصر على الدور السكنية وإنما تعدت إلى الأراضي الفلاحية والأشجار المثمرة فصار أهل البوادي يقرضون الأخرين مقابل أن يستغلوا أرضهم وأشجارهم وقد يمتد ذلك إلى عشر سنوات أو أكثر وقد استمعنا إلى الشيخ شلتوت قبل قليل يتأوه ويشتكي من ذلك.

7. والآن آن الأوان أن أتوجه إلى الأستاذ الكريم وأقول له: أناشدك الله أن تكون شجاعا بطلا وأن تأخذ قلمك وتغلق به هذا الباب الذي كنت قد فتحته أولا. والذي لايأتي منه إلا الشرور والمشاكل العويصة ولايهب منه إلا الرياح المحرفة والعواصف المهلكة تعترف بخطئك في هذه المسألة وترجع إلى الحق. وأن تتذكر ما قاله عمر في رسالته إلى أبي موسى الأشعري: "ولايمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل" من كتاب الأحكام السلطانية للماوردي ص71.

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ويوفقنا للوقوف مع الحق أينما كان آمين والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت وكتاب " السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

الحلقة الخامسة

معرفة الميل بالهندسة بالشكل الأول

شكل 1

تخط دائرة " ا ب جـ د " على مركز هـ وتقسمها بـ 360 درجة كما ترى ثم تراعي أجزاء المحيط الداخلي وتقسم القطر " ط ر" على 5 وتأخذ الخمس وهو " هـ م" ، وبهذا البعد أي " هـ م" تدير الدائرة الصغرى الداخلية " م ك ع س " على مركز "هـ" ، وتسمى هذه ، دائرة الميل ، وهي المرسومة بالربع المجيب ، فإذا أردنا ميل 30 درجة من الحمل ، فإننا نضع المسطرة على المركز " هـ ونقطة 30 من الحمل، ونخط مستقيما يكون " هـ ق " ، ثم نجعل خطا موازيا لنصف القطر " ط ر" يكون من نقطة " ي" على دائرة الميل أي عند التقاء الخط" ق هـ " معها ونقطة " ف ي " ، فالقوس الذي بين " ر ف" هو ميل 30 درجة من برج الحمل ، وإن أردنا ميل 20 من العقرب نخط المستقيم "غ هـ " وعند تقاطعه مع دائرة الميل في "ص " نخط المستقيم " ص ل " بحيث يكون موازيا لنصف القطر " هـ ط " ويسمى خط التوازي، فالقوس " ط ل " هو الميل.

وهكذا نجعل دائما مستقيما من درجة الشمس في البرج إلى المركز " هـ" ، وعند نقطة تقاطعه مع دائرة الميل نجعل مستقيما موازيا لنصف القطر الذي يفصل الاعتدالين أي رأس الحمل والميزان وهو الخط " ر ط " ، فالقوس المحصورة بين نقطة الاعتدال وموقع هذا الخط هي الميل الجزءي للدرجة.

معرفة بعد الدرجة بواسطة الميل

إذا كان لديك ميل شمالي أو جنوبي ، وأردت أن تعرف قوس بعده عن نقطة الاعتدال ، فاعمل (الشكل 1) كما ترى ، واخرج بخط مستقيم من قوس الميل الذي يبتدئ من نقطة الاعتدال دائما إلى دائرة الميل، ثم أخرج بخط مستقيم من المركز "هـ " ، ومع نقطة التقاء خط التوازي يخرج المستقيم إلى درجة الشمس في البرج ، فالقوس ما بين نقطة خروجه والاعتدال هو بعد الدرجة عن اقرب الاعتدالين.

مثاله :

عندنا الميل "ر ف " نجعل خط التوازي " ف ي " ، ثم نخرج من" هـ ي " بمستقيم تخرج في 30 من الحمل وهو " هـ ق" ، وهذا عكس ما تقدم.

معرفة الارتفاع بواسطة الظل

الشكل :2

نأخذ سطحا أملس مستويا غير مقعر ولا محدب ونضعه افقيا،و ونضع على سطحه في الشكل 2 ، ثم نأخذ الارتفاع الذي عندنا وهو "ل د " نعلم على نقطة "د" ونمد خطا مستقيما من "هـ" إلى أن "ن" كما ترى ، ثم نجمع بخط مستقيم بين "ن" و"س" يكون "ن

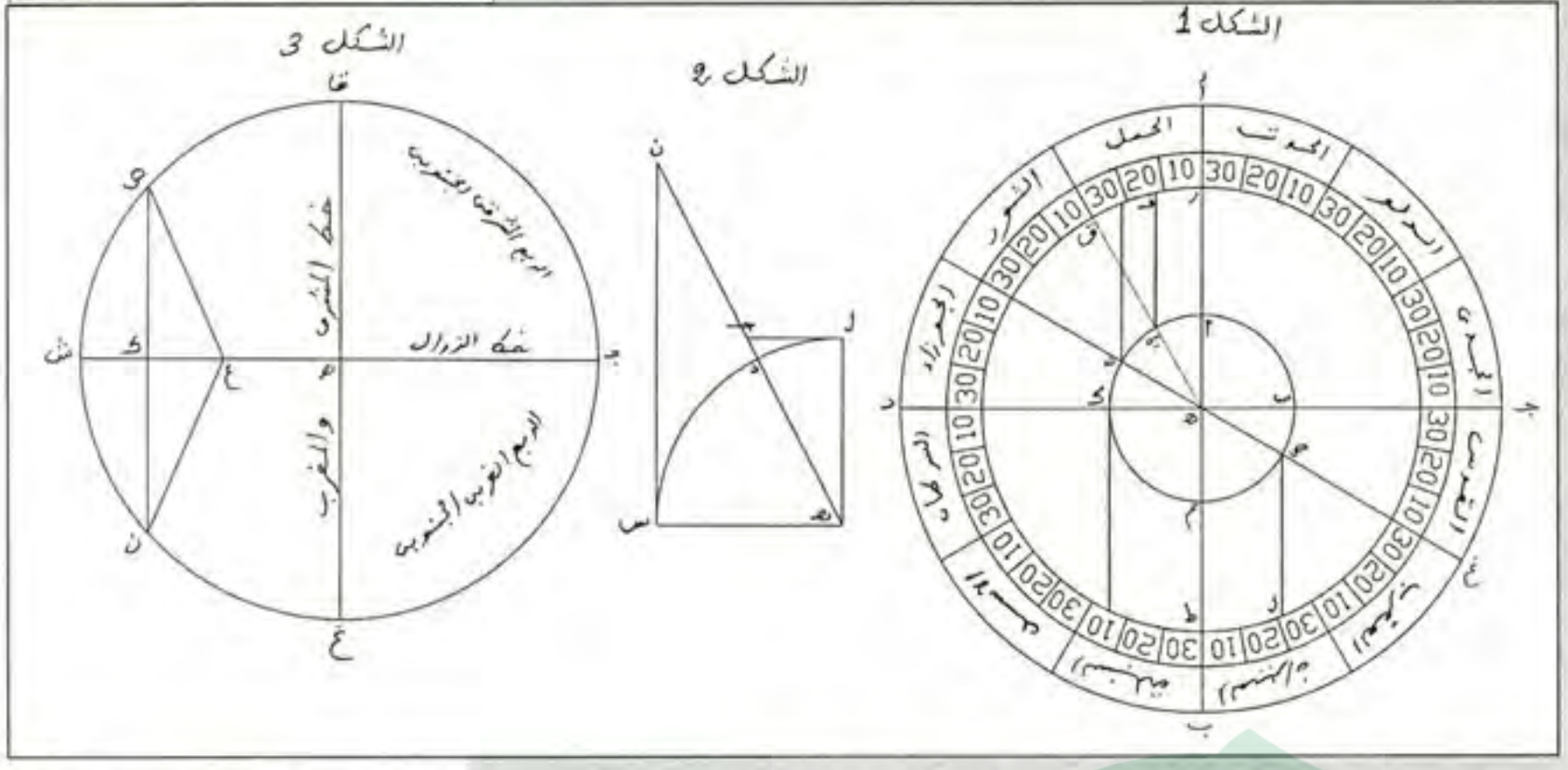

قائما أي شاخصا يكون طوله كيفما أردنا والأحسن أن يكون قصيرا تبعا للوحة المركز فيها، ثم نأخذ ظله ، وطبعا الظل المبسوط وهو تمام الظل ، ثم نخط خطا على اللوح يساويه وليكن الظل وهو خط "س ن" ثم نقيم عليه خطا يساوي طول القائم، وليكن خط "س هـ" فحصل على زاوية قائمة " هـ س ن" ثم نمد خط "هـل" بحيث يساوي " هـ س" ، ثم نركز البركار في "هـ" وندير ربع الدائرة من "س" إلى "ل" فنحصل على ربع دائرة مركزها "هـ"، ثم نمد خطا من "هـ" إلى "ن" يقطع القوس في "د" ، فالقوس "ل د" هو الارتفاع أي زاوية "ل هـد"، وتمام الارتفاع هو "دس" أي زاوية "دهـس" ، والخط "ل جـ" هو الظل المنكوس.

ولمعرفة الظل من الارتفاع

شكل 2

إذا علمنا طول الشاخص أي الشاخص كان، فإننا نضع زاوية قائمة كزاوية "ل هـ س" قائمة في "هـ" ويبعد"هـ س" ، نقوس ربع الدائرة كما

س" هو طول الظل المبسوط إذا كان القائم أي الشاخص يساوي طوله" هـ س".

غاية الارتفاع والجهات الأربع والعرض

نأخذ سطحا مستويا ونضعه أفقيا بحيث لا يكون مائلا بأن يوضع بميزان الماء ولا يكون مقعرا ولا محدبا ، ثم أقم فيه شاخصا أي قائما حاد الرأس بعد أن ندير دائرة يكون طول هذا القائم يساوي ثلث نصف قطرها أو يزيد قليلا ، ثم انصب ذاك قبل الزوال وثبت السطح بحيث لا يتحرك أبدا ، فإن تحرك ولو قليلا بطل العمل ، ثم راقب نقطة دخول الظل إلى الدائرة وعلم عليه وسمها نقطة الدخول ، وراقب خروج الظل من الدائرة بعد الزوال وعلم عليه وسمها نقطة الخروج ، ثم اجمع بين نقطتي الخروج والدخول بخط مستقيم يكون هذا الخط هو خط المشرق أي عين المشرق من جهة الشرق ، وعين المغرب من جهة الغرب ، ثم نصفه واخرج بخط مستقيم من نقطة النصف إلى أصل القائم أي الشاخص ، فيكون هذا الخط هو خط الشمال والجنوب ، وهذا العمل يسمى بالدائرة الهندية عن أرباب هذا الفن ، إذا عرفت هذا فراقب الظل يوما آخر حتى يكون على خط الشمال والجنوب ، فاعرف طوله واجر فيه العمل المتقدم في الشكل الثاني تحصل على غاية الارتفاع، وتمام هذه الغاية هو العرض ناقص الميل في الجنوب وزائد في الشمال ، ومعنى الشمال أي كون الشمس في البروج الشمالية ، ومعنى الجنوب كون الشمس في البروج الجنوبية ، وهذا الفرض على أن يكون العرض شماليا ، والعكس بالعكس.

مثال ذلك:

الشكل 3

نقطة " هـ" المركز ، ونقطة "ش" الشمال ، و"ق" شرق، و"غ" غربا ، وجـ " جنوب ،ونقطة"ن " نقطة الدخول، و"ص" الخروج، و"ك" وسط المستقيم الجامع بين " ص ن" وهو خط المشرق والمغرب وهو يوازي خط "ق غ"، والخط" ك ع هـ " هو خط الشمال والجنوب وهو الذي يقع عليه ظل القائم وقت الغاية ، فإذا زال عنه نحو المشرق وجبت صلاة الظهو على المكلف وهذا معنى الزوال.

عرض البلد

الشكل 4و 5

هما ربع دائرة = 90 درجة ، لنفرض زاوية "ل هـ س " بالشكل 4 عرض البلد ، وزاوية " ك م ن" عرض البلد أيضا بالشكل 5 وكلاهما يساوي 30 درجة ، وحيث إن الميل يكون شماليا ويكون جنوبيا ، ويكون اعتداليا أي يساوي صفرا ، نخصص الشكل 4 للميل الشمالي، والشكل 5 للميل الجنوبي.

فإذا كانت الغاية تساوي 70 درجة ، والميل يساوي 10 درجات شمالا ، نقول زاوية الغاية هي "د هـ ع" (الشكل 4) ، ننقص منها زاوية " ل هـ ع" التي تساوي الميل ، تبقى زاوية " ل هـ س " يساوي زاوية العرض هذا بالشكل 4.

وإذا كانت زاوية " ط م ك " بالشكل 5 يساوي الميل 10 درجات جنوبا والغاية 50 درجة ، زاوية " دم ط" ، زيد عليها زاوية الميل " ط م ك" ، تبقى زاوية العرض "ك م ن" هذا في الشكل 5.

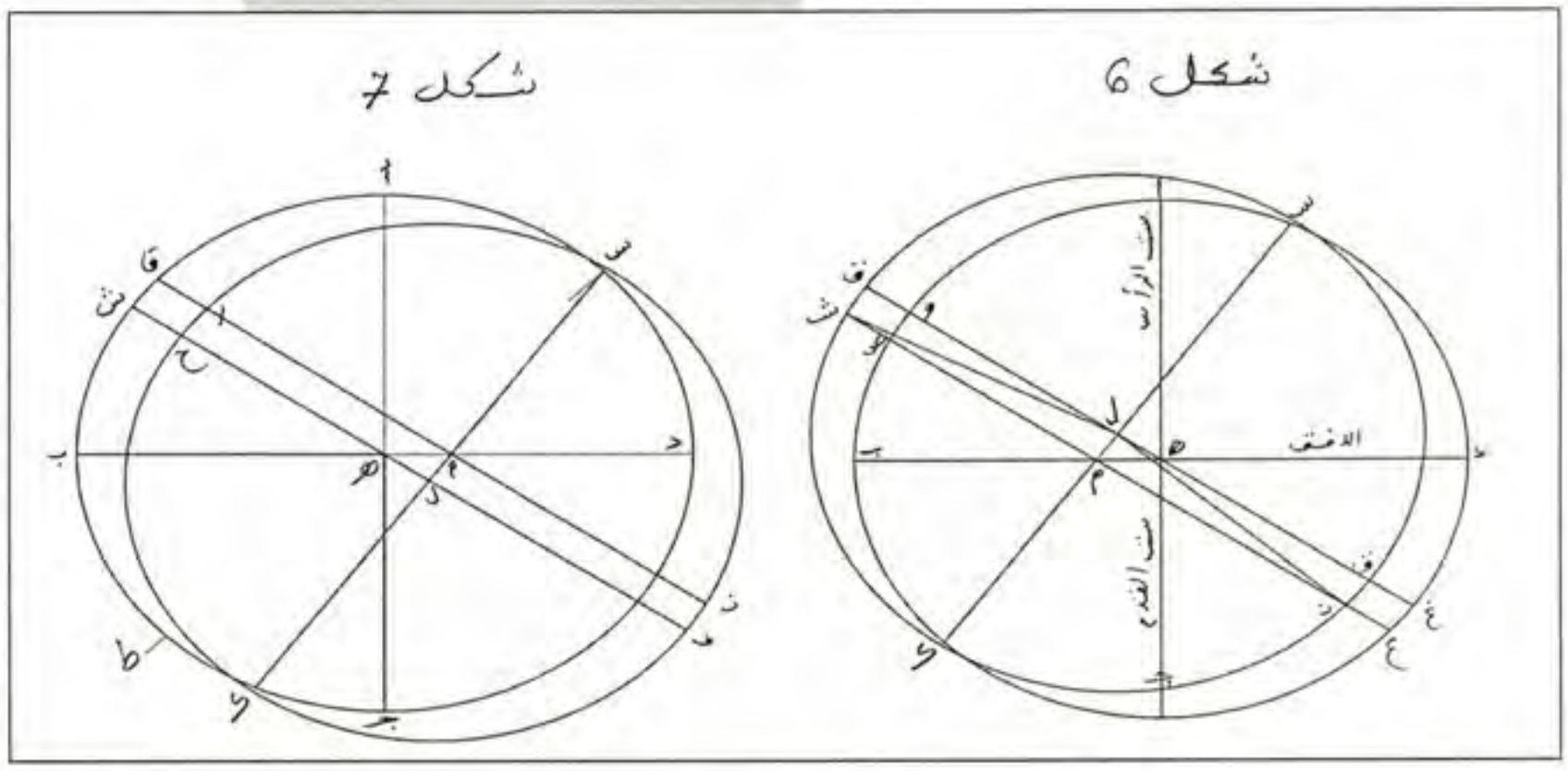

التفسير الإجمالي لسورة آل عمران

■ إعداد الأستاذ : محمد المهدي بوزيد

■ سورة آل عمران من السور المدنية وآياتها مائتان ، وسميت بـ " آل عمران " لذكر هذه الأسرة الفاضلة ، والتي فيها ولدت مريم والدة عيسى عليه السلام وقد ورد ذكر " آل عمران" ضمن سلسلة نبوية خصها الله تعالى بالإصطفاء عند قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » سورة آل عمران الآية 32 . وعمران هو أبو مريم وجد عيسى عليه السلام.

وإن أهم ملاحظة في هذه السورة أنها تطرقت إلى الحديث عن أهل الكتاب إلا أن سورة البقرة قد خصصت الحديث عن بني إسرائيل وسورة آل عمران خصصت الكلام عن النصارى المجادلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قضية عيسى عليه السلام والوهته.

والسورة في عمومها تشتمل أفكارا عامة معينة تحددت في :

1. الفكرة الأولى : التذكير بوحدانية الله تعالى الذي أنزل كل الرسائل وكل التشريعات السابقة للقرآن الكريم ، ويجب الإيمان بهذا كله وإلا فسيكون اعتراضا على حكم الله وجحودا بالله وكفرا يستوجب العذاب الشديد.

وكأن هذه الفكرة العامة الأولى مدخل إلى ما سيأتي في باقي السورة من الأفكار البارزة ، وذلك ابتداء من قوله تعالى (آلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم2، إلى قوله «... هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم 6»

2 الفكرة الثانية: أوقف الله تعالى الجدال في القرآن بغير علم ولا هدى فأوضح سبحانه أن من القرآن ما استأثر الله بعلمه فلا داعي إلى الخوض فيه ومن أراد ذلك ففي قلبه زيغ ، وهذا يدل (أولا) أن القرآن لا يحل لأحد أن يتكلم فيه برأيه لأن كل ما جهل منه فعند صاحبه متشابه وإن كان محكما ، ويدل (ثانيا) أن المتدبرين لأمر القرآن فئتان : فئة أولي الألباب، وفئة الذين في قلوبهم زيغ ومن ثم نبهنا سبحانه أن نكون من فئة أولي الألباب وندعوه بقوله تعالى« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ....» وهذه الفكرة العامة في المسألة الثانية تأتي من قوله تعالى« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه...» إلى قوله تعالى « إن الله لا يخلف الميعاد » سورة آل عمران/ الآيات 7،8،9.

3. الفكرة الثالثة : من قوله تعالى : إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار 10» إلى قوله تعالى: «... ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » الآية 30.

وهذه الفكرة العامة توضح أن الكفر والعناد الصادر خاصة من أهل الكتاب أصله هو حب الدنيا مما دفعهم إلى إنكار الحق وقتل الأنبياء والناس الذين يأمرون بالقسط وهم يعلمون الحق بما أتوا من كتاب وحتى إذا تبين لهم بطلانهم فإنهم يخففون عن أنفسهم بزعمهم ثم لا يخلدون في النار.

وقد استثنى الله تعالى من هؤلاء الصابرين والصادقين ، والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار وهم الذين يقولون « ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » الآية 17

4. الفكرة الرابعة: فيها تذكير للمؤمنين بأن حب الله تعالى مرهون باتباع شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فإنه ادعاء وكذب بل وتوالي عن أمر الله ويعد كفرا وذلك في الآيتين 31 و3 من قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعو ني ...31 ، إلى قوله تعالى « ... فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين »

5 . الفكرة الخامسة : من قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين 33» إلى قوله تعالى« قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين» 95 كل ذلك حديث عن أهل الكتاب ابتداء من اصطفاء الأخيار الذين منهم آل عمران حيث سيولد عيسى عليه السلام الذي تحدث عنه هذا المقطع بإسهاب بعد ما كانت الإشارة إلى ولادة أمه مريم وكفالتها من طرف زكرياء عليه السلام وتكريم الله له بيحيى عليه السلام ، كما تخلل هذا المقطع إيمان الرسل والأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم والميثاق المأخوذ منهم.

6 . الفكرة السادسة: من الآية 95 « إن أول بيت وضع للناس ...» إلى قوله تعالى«... إن الله بما يعملون محيط 120» كل هذا المقطع هو تذكير للمؤمنين بموقف أهل الكتاب من الإسلام ، ووجوب الاعتصام بالقرآن والسنة مع التمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يجعل الدعوة الإسلامية هي موكولة لكل الأمة المسلمة.

7 . الفكرة السابعة: من قوله تعالى: « وإذا غدوت من أهل الكتاب تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم» الآية: 121 إلى قوله: « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»الآية: 200» آخر السورة.

وقد جاء فيها الحديث موسعا عن الغزوات التي خاضها المسلمون من بدر حيث انتصروا على قلتهم وأحد حيث انهزموا على كثرتهم بسبب تركهم لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ما وجه لهم من عتاب من طرف المنافقين والكفار ، فبين لهم الله تعالى أنه يريد سبحانه تطهير صفوف المؤمنين من أصحاب القلوب الفاسدة وفي ذلك يقول سبحانه « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب...179»

كما أن هذه الفوارق قد شملت دروسا وعبرا تميز المؤمنين من المنافقين الذين تحدثت عنهم بعض الآيات في هذا المقطع بتفصيل.

ثم تختم السورة بدعوة الذين آمنوا إلى الاحتمال والمجاهدة ودفع الكيد وعدم الاستماع لدعاة الهزيمة والبلبلة، وذلك بالدعوة

إلى الصبر والمصابرة وإلى المرابطة والتقوى وهذا أنسب طريقة للفلاح.

«يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آخر سورة آل عمران .

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

العنوسة أسبابها وطريقة علاجها في المجتمع

■ كانت الأجواق تصدح بمختلف ألوان الموسيقى ، والمدعوون والمدعوات يتقاطرون على القاعة الكبيرة المتلألئة بالأضواء المنبعثة من ثريات الكريسطال، وتحلق الرجال والنساء حول الطاولات في انتظار ما سيجودون به أصحاب العرس من مأكولات لذيذة ومشروبات، وكان بقربي بعض الشباب من أصدقاء العريس، التفت إلي أحدهم وهو مندهش بمشاهد ديكورات القاعة متسائلا : ما رأيك في هذا البذخ؟ ماهو سبيلنا كشباب إلى تحمل مسؤولياتنا وبناء بيوتنا وزواجنا ببنات الحلال أجبني بصراحتك المعهودة من فضلك ، وكان زملاؤه الآخرون ينتظرون مني الإجابة المقنعة.

كان السؤال محرجا وأنا أغوص وسط طقوس وتقاليد، ومظاهر عرس من ألف ليلة وليلة ، ماذا أقول وقد سمعت وعلمت أن ثمن كراء قاعة الإحتفال فاق ثمانية ملايين وإن موائد العشاء العشرين فاق ثمن الواحدة منها خمسة آلاف درهما وكراء الجوقين الأندلسي والعصري فاق ستة ملايين فكيف والحالة هاته أن أجيب الشاب واقنعه بالزواج من بنت الحلال وهو في حالة من الفقر والضيق؟ كيف يستطيع إقناع الأب بالزواج من بنته بصداق هزيل وسكنى متواضعة في شقة ولا يملك سيارة؟

هذه إحدى أسباب العنوسة التي تنعكس آثارها وأخطارها على ملايين الشباب في مجتمعنا وهي تشمل الفتيان والفتيات، لكن وقعها أشد على الفتاة ، ذلك أن الطريق الفطري للفتاة أن تتزوج وتبني أسرة ويكون لها أولاد تشبع عن طريقهم عاطفة الأمومة في نفسها وهم صغار وتعتمد عليهم في حياتها وهم كبار.

ولمحاربة هذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة العنوسة هناك آداب إسلامية للزواج وضعها الشارع الحكيم لتيسير الزواج على الفتيان والفتيات ومن هذه الآداب تيسير المهور فغلاء المهور يؤدي إلى تثبيط عزيمة الشباب في الزواج ويحملهم أكثر مما يطيقون، على أن الإسلام لم يضع حدا أعلى للمهور بل ترك الأمر للتراضي بين أهل الفتى والفتاة، وأذكر أن شابا يعمل في كندا عرفته عن طريق صداقتي بوالده طلب مني التوسط لدى والد البنت التي تعرف عليها في نفس المكان الذي يعمل فيه ، وهي طالبة تتابع دراستها في المعلوميات واستجبت لطلب الشاب ، وذهبت صحبة والدته وأخواته إلى الدار البيضاء ، واستقبلنا والد الفتاة مرحبا وبعد تقديم الشاي والحلويات ، قلت للأب : جئناك طالبين راغبين ، نريد بنتك على سنة الله ورسوله فلا تردنا خائبين ، وسكت طويلا، وثبت عينيه على الشاب وسأله دون مقدمات: كم عندك في البنك؟ وبكل عفوية وسذاجة أجابه بشفافية وصراحة : جئت من كندا ومعي أربعة ملايين وفرتها من عملي هناك.

وهنا جعل الأب يحدق فينا واحدا واحدا قبل أن ينفجر فينا قائلا : أنا لن أزوج ابنتي إلا بمهر يزيد على عشرة ملايين ، وحزام من الذهب يساوي خمسة ملايين ، وقفطان بمليونين وهكذا تتابعت لغة الملايين، وحاولت إقناعه بأخلاق الشاب وأدبه وحسن سلوكه وصدقه في طلب يد بنته المصونة بدون جدوى إذا ظل ، مصرا على طلباته المادية، وعدنا بخف حنين ، وعاد الفتى والفتاة إلى كندا وهما يتجرعان الحزن والألم ، على أن الحظ لعب دوره بسبب المرض المفاجئ الذي أصاب الأب فاستجاب أخيرا لنداء ابنته بعد تدخل عمات (البنت) وتمت الخطوبة بحمد الله وعونه.

لقد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض السنن في الزواج وحث المسلمين على التمسك بها، مما يؤكد رضاه عنها، وأنها هي الأفضل والأسلم ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وسطا في كل شيء فلا إسراف ولا تقتير .. وزوج رجلا على خاتم من حديد ، كما زوج آخر على ما يحفظه من القرآن ، ويمكننا أن نقول : إن المال والحسب والنسب ليست الطريق الصحيح للسعادة الزوجية وإن معظم العقود الزوجية التي قامت على هذه الأسس باءت بالفشل، والمقياس الإسلامي للزواج السعيد الناجح هو كما قال رسول الله(ﷺ) في حديث رواه البخاري ومسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»

ولا خير في مجتمع يرى نصفه . المرأة نصف المجتمع . يعاني من مرارة العنوسة ، ولا يتحرك لأنقاذه مما هو فيه وإيجاد الحلول اللازمة لمشاكله.

الحلقة الاخيرة

البيعة والخلافة في الإسلام

■ إعداد الأستاذ: محمد الحسني

شروط الإمامة؟

اشترط الفقهاء والعلماء في الإمام شروطا منهم من جعلها سبعة شروط ومنهم من جعلها إحدى عشر شرطا ومهما كانت الشروط فمن واجب الأمة الاسلامية أن تسلم للأمير وأن تطيعه في المنشط والمكره جاء في الأحكام السلطانية لأبي الحسن ابن علي ابن حبيب البصري الماوردي ان شروط الإمامة سبعة: العدالة على شروطها الجامعة، العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، سلامة الحواس، سلامة الأعضاء، الرأي السديد المفضي إلى سياسات الرعية وتدبير المصالح ، الشجاعة والنجدة المؤدية إلى الحماية البيضة وجهاد العدو، أن يكون النسب قرشيا وأن ينعقد الاجماع عليه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش" وأن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش والانتقام من الظالم والأخذ بيد المظلوم وان يكون عدلا وعالما قال صلى الله عليه وسلم أئمتكم شفعائكم فانظروا بمن تستشفعون».

وفي إطار حرص المغرب على المصلحة العامة فإنهم يبايعون العنصر الصالح لحمل الإمامة من الأسرة المالكة التي لها القدرة دون غيرها على تحمل هذه الأعباء أبا عن جد.

بيعة مولاي إدريس الأول؟

بيعة مولاي إدريس الأول بايع المغاربة المولى إدريس الأول في المغرب بعدما فر من مصيدة فخ التي دبرها ضده العباسيون فالتحق بالمغرب وهم الإمام إدريس ابن عبد الله ابن الحسن ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب بويع بمدينة وليلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة 172 هـ حيث بويع من طرف قبائل المنطقة وهي قبائل أوربة بايعوه على الإمارة والقيام بشؤون الصلاة والصيام والزكاة والغزو وتنفيذ أحكام الشريعة فناصرته قبائل المغرب وآزرته أشد المؤازرة لارتباطها بالنسب الشريف وتقديرها لسلالة النبي صلى الله عليه وسلم.

بيعة مولاي إدريس الثاني:

قام مولاي إدريس الأول بالخلافة بتسيير وتدبير محكم إلى أن مات رضي الله عنه مسموما من طرف يحيى ابن جرير الشماخ بمؤامرة من رشيد وبعد وفاته من مدة طويلة بايعت قبائل أوربة البربرية ولده ادريس الثاني الذي مات والده وتركه في بطن أمه ابن السبعة أشهر قام بتربيته بعد ولادته المولى رشيد مولى أبيه ، إلى أن بلغ الحادية عشرة حيث أخذ له البيعة من القبائل وقد ظهر من نبله وعبقريته وفصاحته وإدراكه للأمور السياسية والاجتماعية ما حير الجميع.

بايعته القبائل سنة 188 هـ حيث صعد المنبر وخطب في الناس وقال: إن الله قد ولاني هذا الأمر الذي يضاعف الله للمحسن فيه الأجر وللمسيء الوزر وأقبل الناس على مبايعته وهم يقبلون يده ولم يبق أحد من المغاربة إلا وقد بايع المولى إدريس وانتشر بفضله الإسلام حيث عم مناطق مختلفة من المغرب كما انتشر اتباعه في مناطق مختلفة من العالم.

بيعة جلالة المغفور له محمد الخامس

إن مسألة البيعة أساسية في تاريخ المغرب وهي تحتاج إلى مجلدات الضخمة لما تتضمنه من أحكام تخدم مقاصد الراعي والرعية ويمكن للباحث أن يشفي غليله من ارتشاف رحيق البطولات النادرة والوطنية الصادقة والحكمة الرائدة في أن سلاطين هذه الدولة دافعوا عنها دفاعا مستميتا ليؤمنوا ترابه ويحفظوا وحدته.

توفي المولى يوسف في 17 نونبر 1927 وما أن وافه الأجل حتى بادر السكان إلى بيعة أمير المؤمنين محمد الخامس في 18 نونبر 1927 بمدينة فاس المحروسة حيث اجتمع أهل الحل والعقد والعلماء والفقهاء والقضاة والأشراف والأعيان يبايع الكل محرر الأمة جلالة الملك محمد الخامس.

صبأ الشعب لمناهضة الاستعمار

تعرض للنفي والاضطهاد من طرف فرنسا وتحالف أوربا من أجل اخضاع المغرب للامبريالية العالمية زرع فيه روح النضال كقائد ذي حنكة بخبايا الاستعمار ومخططه الاستعماري الطويل.

وشجع الحركات التحريرية في إفريقيا وشمال افريقيا يقول الشاعر:

تا الله لا يأتي الزمان بمثله
ان الزمان بمثله لضنين.

استرجاع طرفاية سنة 1958.

التحق جلالة الملك المغفور محمد الخامس طيب الله ثراه بالرفيق الأعلى بعد نضال طويل في 26 فبراير 1961 خاض المعركة ثلث قرن.

خاض هذه المعارك وهو يتولى عرش بلاده صغير ا منذ 1927لم يكن عمره قد تجاوز أنذاك 18 سنة واعتبروها كما قال ابنه البار جلالة الملك الحسن الثاني أنها فرصة سعيدة بالنسبة لهم ولكنهم لم يجدوا ما يرضيهم في محمد الخامس الذي كان ذا بصيرة قوية ، وحمكة واعية ، جعلته يلتقي بالحركة الوطنية في التخطيط للاستقلال، فكانت وثيقة المطالبة بالاستقلال التي كان لها وقع كبير في نفوس الفرنسيين وانهيار سياستهم الاستعمارية في المغرب وقد كان محمد الخامس يهيئ لمؤتمر أنفا مع القادة الكبار في العالم الذين جاءوا ليضعوا مخطط استسلام ألمانيا دون قيد أو شرط وإملاء شروط الهزيمة واغتنمها محمد الخامس فرصة حيث عبر بكل حرية عن مشاكل بلاده للحلفاء وفي سنة 1947 اقتحم الحدود والسدود التي كانت تضعها فرنسا بينه وبين شعبه حيث قام برحلة إلى طنجة واتصل بشعبه العزيز هناك ذلك أن طنجة كانت مدينة دبلوماسية دولية وعند وصوله عبر المغاربة عن إخلاصهم وولائهم وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد وعن البيعة المقدسة التي في عنقهم وفي سنة 1953 نفي محمد الخامس إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر وكافح الوطنيون الاستعمار في معارك حاسمة تعرضوا فيها للتعذيب والتنكيل والنفي والابعاد لكنهم ظلوا محافظين على تلك البيعة التي تحيط بأعناقهم ولم يهدأ لهم بال إلا بعد عودة محمد الخامس وتحقيق الاستقلال وخروج المغرب من عهد الحجر والحماية إلى عهد الحرية والاستقلال والبناء والتشييد .

بيعة صاحب الجلالة الحسن الثاني رحمه الله:

بويع جلالة الملك المرحوم الحسن الثاني طيب الله ثراه يوم 3 مارس 1961 وقد عهد له بالخلافة جلالة الملك المغفور له محمد الخامس بعد وفاته ، وقد حررت صكوك البيعة لجلالته ، وإذا أردنا أن نتصفح حياة جلالة الملك يجد الكاتب أو المتذكر لهذه الحياة أنه غير قادر على تدوينها ، فهي مليئة بالذكريات التاريخية المجيدة ، في بناء نهضة المغرب الحديث . فكم من كاتب وخطيب بليغ وشاعر صداح شنف أسماعنا بمآثره الخالدة.

شيد وبنى وعمر ، ووجه الدولة المغربية بسداد ، حيث ظلت في أمن واطمئنان سياسي وروحي . تابع مسيرة بحنكة وتحد بالغ حيث قاد المغرب نحو استرجاع مناطقه المغتصبة بسياسة مرنة ومسالمة تعرف كيف تؤخذ الحقوق بوسطية دامغة ذات مهارة سياسية فائقة.

إذ خطط لمسيرة تاريخية خالدة سنة 1975 م كما استرجع منطقة سيدي افني سنة 1969 . فالسلطان حامي حمى الوطن والدين وهو ظل الله في الأرض وهكذا بقي يبني ويشيد إلى أن لقي ربه سنة 1999.

بيعة سيدي محمد السادس

بويع محمد السادس في 30 يوليوز لسنة 1999، تبعا للسنة المتبعة عند اسلافه، الذين توالوا على حكم المغرب والذي قال جلالته في الذكرى الخامسة لتوليه عرش أسلافه المنعمين أنه نذر نفسه لخدمة الشعب المغربي"

وأن لجلالته كما قال في مجلة باري ماتش برنامجا مكتظا بالأعمال والمشروعات تتعلق بتهيئة الموانئ وتعبيد الطرق والسكك الحديدة والمناطق الصناعية والكهرباء والمياه الصالحة للشرب بالإضافة إلى مشروعات عدة على نهر أبي رقراق في الرباط وفي الدار البيضاء حيث سيتم تأسيس مركز مهم للاستثمارات الصناعية التي ستشهد مضاعفة الطاقة الاستيعابية المستقبلية والعديد من الزيارات الخارجية تشمل دول إفريقيا الجنوبية وزيارة رسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

كتاب صدر

من الكتب الهامة التي أصدرتها جمعية رباط الفتح أعمال الندوة التي نظمتها تكريما للوطني المجاهد أحمد الشرقاوي الذي يمثل نموذجا متميزا في الصدق والإخلاص للوطن والعرش، والذي لم يكن عمله الوطني ليصرفه عن الاهتمام بالمجالات الدينية، حتى وهو في السجن، حيث كان يساهم في جريدة « سمير المنفي» التي كان يشرف على إصدارها بالسجن الحاج عثمان جريو، والتي كان أش : أي أحمد الشرقاوي كاتب افتتاحية عددها الأول التي تحمل عنوان باسمك اللهم.

والتي ندرجها للقراء نقلا عن الكتاب السالف الذكر المعنون «الوطني الكبير الحاج أحمد الشرقاوي» .

من مستجدات مدونة الأسرة سنة 2004: مسطرة الشقاق بين الزوجين

وآليات التطبيق والتفصيل

■ إعداد الأستاذ : إدريس اجويلل

■ جاء تعديل مدونة الأحوال الشخصية بمدونة جديدة سميت اصطلاحا بمدونة الأسرة ، بعد مخاض عسير استمر زهاء السنتين بمشاركة فعاليات علمية ومجتمعية شاركت في صياغتها صياغة تتماشى وروح الشريعة الإسلامية ، ومسايرتها للواقع والتحولات العميقة التي يعرفها العالم على مختلف الأصعدة.

هكذا إذن جاءت مدونة الأسرة الجديدة في سياقها الواقعي والتارخي والمجتمعي لتؤسس لثقافة جديدة داخل الأسرة المغربية دون إغفال هويتنا وثقافتنا وخصوصيتنا التاريخية ؛ فهذه المدونة كما قال صاحب الجلالة محمد السادس في خطابه يوم 2003/10/10 بمناسبة افتتاح الدورة التشريعية للبرلمان هي : مدونة للأسرة أبا وأما وأطفالا ؛ الكل يجد هدفه ومبتغاه في هذه المدونة، فهي مدونة جميع المغاربة على مختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم السياسية والأيديولوجية ، فقد تطرقت في فصولها الأربعمائة (400) إلى حل بعض الإشكالات الأسرية التي كانت عالقة ومسكوت عنها.

ومن ضمن الجديد في هذه المدونة ما يسمى بمسطرة الشقاق بين الزوجين المنصوص عليه في الكتاب الثاني، الفصول: 83،82، 94، 95، 96، 97، من هذه المدونة.

في هذه المداخلة المتواضعة سأحاول التطرق ومناقشة المحاور الآتية.

المحور الأول : مفهوم مصطلح الشقاق وتأصيله.

المحور الثاني : آليات معالجة الشقاق بين الزوجين.

المحور الثالث: تفعيل وتطبيق مسطرة الشقاق بين الزوجين.

المحور الأول : مفهوم مصطلح الشقاق وتأصيله.

الشقاق: هو الخلاف والعداوة ، وسمي الشقاق شقاقا لأن كلا من الزوجين يشق على صاحبه ويلحق به ضررا.

والشقاق بين الزوجين مجلبة لأضرار كبيرة لا يقتصر أثرها على الزوجين فحسب بل يتعداها إلى ما خلق الله بينهما من ذرية ، وإلى كل من له بهما علاقة قرابة أو مصاهرة، لذا كان وما يزال الشقاق والنزاع والخلاف والاختلاف ظواهر عرفها المجتمع البشري منذ آدم عليه السلام وإلى يومنا هذا، وما وجد القضاء إلا للبث والفصل في مثل هذه الظواهر.

وإذا كان المشرع المغربي حرصا منه على وحدة الأسرة واستقرارها باعتبارها النواة الأولى في المجتمع بصلاحها يصلح وبفسادها يفسد ؛ فقد ألزم القاضي في مدونة الأسرة الجديدة قبل الإذن بالطلاق أن يبعث حكمين لتسوية الخلاف الناتج بسبب الشقاق بين الزوجين وإجراء تصالح فيما بينهما وإعادة المياه في الحياة الزوجية إلى مجاريها الطبيعية حفظا وحفاظا على وحدة الأسرة وسلامتها من الطلاق الذي قد يعصف بها وبمستقبل أفرادها، ولعل هذا الإجراء الذي ذهبت على غراره المدونة هو موقف الفقه المالكي ويتماشى وروح الشريعة الإسلامية، قال تعالى في سورة النساء ، الآية :35(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) وقد اعتبر ابن العربي المالكي : هذه الآية من الآيات الأصول في الشريعة.

روى محمد بن سيرين وأيوب بن عبيدة عن الإمام علي رضي الله عنه قال : جاء إليه رجل وامرأة ومعهما فئام (يعني جماعة من الناس) ، فأمر هما فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، ثم قال للحكمين: أتدريان ما عليكما ؟ إن رأيتما أن تجمعا جمعتها وإن رأيتما أن تفرقا فرقتها ، فقالت المرأة: رضيت بما في كتاب الله لي وعلي،

الحلقة الأولى

وقال الرجل أما الفرقة فلا، فقال علي: كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعليك، وامره أن يرجع كما يجب على كل مسلم أو ينفذ فيه بما يجب من الأدب.

وقد أجمع العلماء على أن الحكمين لا يكونان إلا من أهل الزوجين ،أحدهما من قبل الزوج والآخر من قبل الزوجة إلا أن لا يوجد في أهلهما من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما ، كما أجمعوا على أن الحكمين إذا اختلفا لم ينفذ قولهما قال ابن عبد البر في باب الحكمين : إذا ساء ما بين الزوجين وتفاقم أمرهما وتكرر شكواهما ولا بينة مع واحد منهما ولم يقدر على الإصلاح بينهما بعث الإمام أو القاضي أو الحاكم إن ارتفعا إليه حكمين حكما من أهل الرجل وحكما من أهل المرأة من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقه فإن لم يكن من أهلهما، إلى أن يقول وإذا بعث الإمام الحكمين وأمرهما بالإصلاح فإن عليهما أن يسعيا في الإصلاح جهدهما فإن لم يستطيعا كان عليهما إن رأيا أن يفرقا فرقا وإن رأيا أن يجمعا جمعا.

يتبين من هذا أن دور الحكمين دورا تحكيما في مسألة الشقاق بين الزوجين ، لذاك أناط الله هذه المهمة بأهل الزوجين نظرا لاطلاعهما على خبايا الحياة الزوجين ولما يملكانه من سلطة معنوية في التأثير وإصلاح ذات البين بينهما وإقناعهما بفكرة العدول عن الطلاق الذي قد يعصف بحياتهما ويجعلها في مهب الريح ، فإذا لم يوجد للزوجين المتنازعين أهل أو كان ولم يكن فيهم من يصلح لذلك لعدم العدالة أو غير ذلك من المعاني ، فإن الحاكم يختار حكمين عدلين من المسلمين ، واستحب العلماء في هذين الحكمين أن يكونا جارين.

مما سبق عرضه يتبين أن مسألة الشقاق بين الزوجين تجد تأصيلها في الفقه المالكي وفي التشريع الإسلامي عموما لذا جاء هذا الجديد الذي هو مسطرة الشقاق بين الزوجين في إطار الشريعة الإسلامية التي تعتبر الحفاظ على العرض من مقاصدها الأساسية وأسسها النبيلة التي تتجلى في العدل والمساواة بين جميع الناس ، لا فرق لأحد على أحد إلا بالتقوى.

المحور الثاني : آليات معالجة الشقاق بين الزوجين.

قد يكون الشقاق بين الزوجين سببا للعداوة والخصومة ونفور كل من الزوجين من صاحبه ، فينشأ من جراء ذلك الشقاق خلاف ونزاع فيما بينهما يجدان أنفسهما من جراء ذلك عاجزين عن حله ، فيكون تدخل الأهل في هذه المسألة أمرا ضروريا حفاظا على وحدة الأسرة من التصدع والاهتزاز والتشرد والضياع ، من هنا ألزم المشرع المغربي في مدونة الأسرة الجديدة القاضي قبل أن يأذن بالطلاق الناتج عن الشقاق أن يلتجئ إلى مجموعة من الآليات حفاظا على وحدة الأسرة ، ومن تلك الآليات ما نصت عليه المادة: 82 :" عند حضور الطرفين تجري المناقشات بغرفة المشورة، بما في ذلك الاستماع إلى الشهود ولمن ترى المحكمة فائدة في الاستماع إليه.

للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات بما فيها انتداب حكمين أو مجلس العائلة أو من تراه مؤهلا لإصلاح ذات البين ، وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولة للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما.

(يتبع)

قيمة الوقت في حياة المسلم

■ إعداد الأستاذ أحمد بلحاج

■ الإسلام دين يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن ، ويؤكد الحكمة الغالية « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ويجعل من دلائل الإيمان أن يعي المسلم هذه الحقيقة، إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون ، لأن كل مفقود يمكن للانسان أن يسترجعه إلا الوقت وهو أنفس ما يملكه الإنسان، والمسلم الحق هو الذي يعطي أهمية قصوى لوقته ، ويعتني به اعتناء شديدا لأن الوقت عمره فإذا سمح بضياعه فهو سفيه بهذا السلوك الطائش ولا يفرط في هذه الثروة الرائعة عاقل، ولا محالة انه سيسأل عن تصرفه فيه ، قال رسول الله (ﷺ) :(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره في ما أفناه...) الحديث.

إن المسلم ليسير حثيثا إلى الله، وكل دورة للفلك تتمخض عن صباح جديد ليست إلا مرحلة من مراحل الطريق الذي لا توقف فيه أبدا ، أفليس من العقل أن يدرك المرء هذه الحقيقة وأن يجعلها نصب عينيه وهو يستبين ما وراءه وما أمامه ، ومن الخداع أن يحسب المرء نفسه واقفا والزمن يسير إنه خداع النظر حين يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري وهو جالس وأصحاب النظر القاصر يعرفون من الزمن آثاره المحدودة ويكتفون بتعداد الأيام ويسرهم ما ذهب منها ، اسمع ما يقول سيدنا عمر رضي الله عنه :متى أنام؟ إذا نمت بالليل أضعت حق ربي ، وإذا نمت بالنهار أضعت حق الرعية فمتى أنام؟ قال تعالى: «تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا» .

وقد وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام، فالصلوات الخمس تكتنف اليوم كله، والمقرر في الشريعة أن جبريل نزل من عند الله ليرسم أوائل الأوقات وأواخرها ليكون من ذلك النظام محكم يرتب حياة الإنسان المسلم ويقيسها بالدقائق من مطلع الفجر إلى مغيب الشفق (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون)

والإسلام نظر إلى قيمة الوقت في كثير من أوامره ونواهيه ، فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان كان حكيما في محاربة المبطلين الذين يضيعون أعمارهم في التسلية واللهو ولا يدرون أن كل يوم بزغت شمس فجره إلا نادى مناد من قبل الحق يابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

يقول المحاسبي: والله لو كان الوقت يشترى بالمال لأنفقت كل أموالي غير خاسر أشتري بها أوقاتا لخدمة المسلمين .

أهمية المساجد والمدارس والزوايا في تشجيع الحركة العلمية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين

■ إعداد الدكتورة ربيعة بنويس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة

الحلقة الأولى

■ مما لا جدال فيه ، أن المسجد كان أول مدرسة يلوذ إليها الإنسان المسلم منذ نعومة أظافره ، لأخذ تعاليم دينه ودنياه." فالمسجد في الإسلام لم يكن مكانا خاصا بإقامة الشعائر الدينية فحسب ، بل كان مركزا أساسيا وإداريا ، ومؤسسة ثقافية وتربوية ارتبطت بها أمجاد الأمة الإسلامية في مختلف العصور" فمن المسجد انطلقت الدعوة الإسلامية ، وفيه كان يجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحابة لتنظيم أمور المسلمين ، بما فيها من خروج للجهاد والغزو وتبيان الشعائر الإسلامية.

ومن المسجد أيضا " انبثقت مختلف تيارات الفكر الإسلامي ، وإن كان متتبع الحركة الفكرية بما فيها من مذاهب لغوية وفقهية وكلامية وفلسفية، سيجد أصولها وينابيعها مرتبطة بحلقات الدرس والمناقشة التي كانت تعقد في زوايا المساجد الإسلامية".

والمسجد المغربي نفسه كان مركز إشعاع ديني وثقافي ، وكان يفضل على المدارس والمعاهد التي انتشرت بعده، ولعل هذا ما حاول الأستاذ محمد الدباغ أن يعبر عنه حين قال:" كانت الدراسة بالمساجد والمعاهد تعتبر ذات أهمية كبرى ، وكان العالم لا يبلغ إلى التدريس بها إلا إذا ظهرت مقدرته العلمية وكفاءته في التلقين ، وكان الأستاذ قبل مهارته يلقي دروسه الأولية بالمدارس الموجودة في المدينة ، حتى إذا آنس من نفسه الكفاءة أو آنسها منها طلبته ، توجه إلى المسجد".

وقد عرف المغرب بناء المساجد منذ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ، هذه المساجد التي ستعرف كثرة وتطورا معماريا خاصا في عهد المرينيين الذين أنشأوا المساجد " في مختلف أنحاء المغربين الأقصى والأوسط ، وامتاز فنهم في هذه المساجد بالدقة وكثرة التوريقات والمقرنصات خصوصا حول المحراب".

ومن أهم مساجد المرينيين ، جامع فاس الجديد ، وجامع العباد قرب تلمسان ، والجامع الكبير بتلمسان ، والجامع الكبير بمدينة تازة وغيرها . هذه المساجد التي كان لها ، إضافة دورها الديني ، دور علمي كبير من خلال حلقات الدرس التي تقام بها ، هذه الحلقات التي كان المذهب المالكي هو المتحكم في جل محاورها ، وقد أشرنا سابقا إلى أن الفقهاء كانوا هم المتحكمين في نوعية العلوم المدروسة ، فيحاربون كل من خرج عن هواهم وتوجهاتهم.

وعموما ، فإن الجوامع التي وجدت في العصر المريني هي نفسها التي استمرت في أداء مهمتها خلال القرنين التاسع والعاشر، خصوصا، وأن المرحلة عرفت تدهورا عاما كان من نتائجه شل عجلة العمران، لكن هذا لا يعني توقف المساجد عن أداء مهامها المنوطة بها ، بل على العكس من ذلك ، ظل المسجد يقوم بوظيفته الدينية والعلمية وأضيفت له حتى الوظيفة الساسية ، ويتجلى هذا خاصة في ما قام به خطيب القرويين ، عبد العزيز الوراكلي ، حين خطب في الناس بالمسجد واقنعهم بخلع طاعة السلطان عبد الحق المريني ، من جهة ، ومن جهة أخرى تجلى في اتخاذ منابر المساجد وسيلة للدعوة إلى الجهاد ضد النصارى الذين احتلوا الشواطئ المغربية.

إلا أن أهم المساجد العلمية في هذه الفترة ، بل وفي الفترات التي قبلها ، هي مساجد مدينة فاس ، وخاصة جامع القرويين التي اكتسبت شهرة عالية،" إنها المدرسة الفكرية العتيقة التي تعتبر في الوعي الشعبي، وعند بعض المثقفين المغاربة ، أقدم جامعة في العالم قاطبة .." لذلك كان الأدباء والعلماء يتطلعون للتدريس بها بعد أن ينهوا دراستهم بها، لأن قيمتهم العلمية والأدبية لا تتم دون التعلم في هذه المؤسسة ، ثم التدريس في بعض جوامع مدينة فاس تمهيدا منهم للحصول على منصب بجامع القرويين.

وكان جامع القرويين سبب مفخرة مدينة فاس كما عبر عن ذلك الدكتور عبد الهادي التازي بقوله:« .. أما الكلام على فاس دون القصد إلى القرويين بالذات ، فإن ذلك بمثابة الحديث عن كائن مجهول الهوية ! ومن أجل ذلك ، كان الفضل في كل ما سمعناه عن فاس من مناقب ومحامد يرجع إلى هذا المركز الثقافي الإسلامي الذي أشع على هذه الجهات، ، لذلك فإن كراسي العلم بها آلت إلى أهم العلماء وأقدرهم.

ونفس الشيء عبر عنه صاحب " سلوة الأنفاس" حين قال:« وليس في المغرب مدينة يوجد فيها من أنواع العلوم وأصناف العلماء مثل ما يوجد فيها (فاس) » ، وهذا أيضا ما أشار إليه الصوفي المغربي أبو الحسن علي بن ميمون ، الذي جال في مختلف أنحاء العالم العربي ، حيث قال:« ما رأيت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل ، وغزر الحفظ لنصوص إمامهم ، الإمام مالك، وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير... فمنذ خرجت منها ... ما رأيت مثلها ومثل علمائها...» واعتبارا لهذه القيمة العلمية التي تمتعت بها هذه المدينة ، فإن جل العلماء والفقهاء المغاربة ، ومنهم متصوفة مدينة تازة ، تمدرسوا بها وأخذوا عن علمائها.

ولم يقتصر نشر العلم على المساجد والجوامع ، بل شاركت المدارس والمعاهد التي بناها بنو مرين بدور فعال في تقوية دور المسجد ، وكانت تعنى هي الأخرى بالمسائل الفقهية وتخدم مصالح الحكام ، إلا أن المدينة التي نالت العناية الأوفر والحظ الأكبر من المدارس هي فاس دائما ، وإن وجد البعض الآخر متفرقا على كل من تازة ومكناس وسبتة وطنجة وأنفا وآزمور وآسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير وتلمسان.

وعلى هذا ، فإن القيمة العلمية الكبرى كانت لمدينة فاس ، وفي هذا الصدد ذكر " كابريال شارمس" في كتاب " سفارة المغرب " ، أن مدارس فاس كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم ، ومنها انبثق ما يسمى بالحضارة العربية التي شع نورها في إسبانيا فأضاء جوانب أوربا، ففاس كان يوجد بها ، مايزيد عن مائتي مدرسة».

وكان هدف المرينيين من إنشاء المدارس الكثيرة ، خدمة المذهب الذي اتخذه هؤلاء أساسا لحكمهم، وهو المذهب المالكي . ومع ذلك فقد وقف النقاد من هذه المدارس والمعاهد موقفين مختلفين:

موقف نوه بها وجعلها سببا من أسباب تقدم العلوم ، خصوصا وأن المرينيين قاموا بجلب أنفس الكتب إليها، واختيار الأساتذة وإجراء المرتبات عليهم، وإيواء الطلبة الفقراء والمغتربين، ومدهم بالمنح والمساعدات ، الشيء الذي كان حافزا على تطوير العلم والمنافسة في النهل من عيونه لدرجة جعل البعض يقول بأن الحركة الفكرية في العصر المريني قد ، فاقت عصر الموحدين رقيا وتوسعا».

أما الموقف الثاني فذهب إلى أن هذه المدارس والمنشآت آلت بالعلم والتعليم والمتعلم إلى وضعية دونية، ومن هؤلاء نجد الأبلي الذي قال:« إنما أفسد العلم كثرة التآليف ، وأفسد بنيان المدارس » ، ثم تلميذه المقري الذي شرح كلام أستاذه بقوله :« وذلك أن التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها مالا كثيرا وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير .. وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيها من مرتب الجرايات فيقبل بهم على ما يعنيه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم أو من يرضى دخوله في حكمهم ، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة ..»

وقد يصدق هذا الأمر على أواخر العهد المريني وطيلة العصر الوطاسي ثم بداية السعدي ، وهي الفترة التي نحن بصدد دراسة بعض شعرائها المتصوفة ، حيث عرف سوق العلم بالمغرب كسادا ، ولم تعد الدولة قادرة على خدمته وخدمة رجاله.

ولعل هذا الوضع هو الذي جعل أحمد بابا التنبكتي يقول :" ولعمري لقد صدق (المقري) في ذلك وبر ، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن المغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس وغيرها ، حتى صار يتعاطى الإقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا ، فضلا عن غيرها ، بل من لم يفتح كتابا للقراءة قط، فصار ذلك ضحكة ، وسبب ذلك أنها صارت، بالتوارث والرئاسات .. حتى خلت هذه الساعة عمن يعتمد عليه في علمه».

إذا كان هذا هو الدورالذي قام به المسجد والمدرسة على حد سواء، ذلك الدور الذي عرف ازدواجية بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية فإن مهمة الزاوية أضافت إلى المهمتين السابقتين، مهمة اجتماعية وروحانية وسياسية في نفس الوقت.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1082
السنة38
الجمعة 9 شعبان 1425 هـ الموافق
24 شتنبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1082 الجمعة 9 شعبان 1425 هـ .الموافق 24 شتنبر 2004م

حرية المعتقد الديني بين المنظور الإسلامي والمفهوم الغربي

الحلقة الثانية

■ العلامة عبد الحي عمور

■ والإسلام يذهب بعيدا في حق المعتقد الديني إلى درجة اعترافه بالآخر الديني يقول تعالى: (لكم دينكم ولي ديني) ذلك أن شرعية الآخرين الذين لايومنون بديني، ليست مبنية على أن اعتقادهم حق أو باطل، ولكن الشرعية تقوم على الحقيقة الإسلامية التي أقرها ابتداء، وهي أن الآخرين لهم حقهم في اختيار عقيدتهم، بما تستلزمه من حصانة وحماية وكرامة، على الرغم من أن هذا الحق الذي هو إقرار واعتراف، يؤكد الانفصال والاختلاف البين والجوهري بين دين ودين، حتى ليستحيل اللقاء، لأن الاختلاف يمس جوهر الاعتقاد وطبيعة التصور.

ذلك هو المفهوم الإسلامي لحرية المعتقد الديني. لكن خصوم الإسلام وأعداءه وغيرهم من العلمانيين والحداثيين، ومؤرخة الفكر الديني العام، الذين يومنون بانحسار الإيمان الديني، ويعملون على إفقاد الدين لمرجعيته المعصومة ومبادئه وأسسه التي قام عليها،و من مطلق أن العصر الذي نعيشه هو عصر العلمانية وما بعد الدين، ودين العقل، ينفون هذه الحرية العقدية عن الإسلام، ويريدون إسقاط القداسة عنه، ويعمدون إلى بعض النصوص الدينية فيلوون أعناقها في تعسف وتمحل، ليدللوا على أطروحتهم التي تزعم أن الحرية العقدية إنما جاءت في عصور التنوير الأوربية وأنها نتيجة المذاهب الإنسانية العالمية التي وضعها العقل باستقلال عن الوحي. ومع الأسف شايعهم في ذلك بعض رجال الفكر المسلمين. ونحن نتوقف عند أحد هذه النصوص الدينية التي يرون فيها أن حرية المعتقد غالبة عن الإسلام، وأن العقيدة الدينية فرضت على معتنقيها في بداية الدعوة الإسلامية بالإكراه والإجبار، وقوة السيف، ويستدلون بالحديث المتفق عليه والذي رواه البخاري ومسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويوتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله."

والقراءة غير المتبصرة لهذا النص الحديثي، تظهر أن عقيدة الإسلام فرضت بالتهديد والقتل، وأن ماندعيه من حرية المعتقد لايتفق مع النص المذكور وبالتالي فليس الأمر صحيحا.

لكن المتأمل المتبصر في صيغة الحديث، العارف بأسرار اللغة العربية، يتبين أن ليس في هذا النص مايفيد الفرض والإلزام، ذلك أن هناك فرقا بين أقاتل وأقتل، والروايات الخمس التي ورد بها الحديث كلها تقول: "أمرت أن أقاتل" والقتال مفاعلة ومشاركة مما لايتم إلا بالمقاومة.

والمقاتلة التي أمر بها رسول (ﷺ) تخص أولائك الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون الدعوة إلى دينه الجديد، مما يترتب عنه عدم تبليغهم لرسالة الله التي جاء بها الرسول، وأمر بتبليغها إلى الناس، وهذاعكس ما إذا تركوا الدعاة إلى الله، وفسحوا المجال للمسلمين أن ينقلوا إلى الناس الدعوة الجديدة حيث لن يكون قتال ولا حرب.

ويؤيد هذا الفهم الصحيح للنص الحديثي قوله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكن في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)الممتحنة/81.

ومايرد من النصوص الدينية المطلقة التي تفيد الأمر بمقاتلة المشركين، يجب بما حملها على ضوء النصوص المقيدة لا العكس.

لكن ماذا بعد تكوين الفرد لعقيدة الإسلام، واختياره لهذا الدين، حيث يصبح مسلما بعد أن كان كافرا، وكذا بالنسبة للإنسان يجد نفسه مسلما بالوراثة لوجوده في مجتمع للمسلمين؟ إن الأمر في الحالتين السالفتين يصبح اعتقادا نهاليا والتزاما أبديا لا رجوع فيه ولا اختيار حيث لايحق لمسلم أن يبدل دينه نصا وإجماعا لما جاء في السنة النبوة: "لايحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، والتارك لدينه المفارق للجماعة" ولما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "من بدل دينه فاقتلوه"، وأنه أمر بقتل امرأة ارتدت. وروى معاذ ابن جبل أن النبي (ﷺ) أمر بقتل من ارتد عن الإسلام، ومثل هذا حدث في العصر الراشدي حيث لم يتوان الخلفاء الراشدون عن تطبيق شرع الله تعالى في المرتدين بعد الاستتابة، مع مايترتب عن ذلك من أحكام.

والمقاصد الشرعية من إقامة هذه العقوبة الدنيوية ليست عقدية فقط. كما قد يتوهم. ولكنها اجتماعية، ونفسية وسياسية: ذلك أن المرتد تنكر لفطرته التي ولد عليها وهي الإسلام: فطرة الله، وخرج من ربقة الجماعة والأمة بانسلاخه عن دينه، ونقض العهد الذي يربطه بمجتمعه الإسلامي باعتبار أن رابطة الدين هي الأسرة المعتمدة التي تجمع بين المجتمع الإسلامي، مما يخل بالنظام، ويعرض أخلاقية الأمة وسمعتها للخطر والاهتزاز، فضلا عن أن ارتداده عن عقيدته، يعد تلاعبا في الدين وسلوكا سيئا، واتباع هوى النفس، ويعبر عن نقص في العقل، مع مايمكن أن يؤدي إليه ارتداد، الشخص عن دينه الحق من فسح المجال لنشر مايخالف عقيدة الأمة وشريعة الإسلام، كما هو واقع اليوم.

هذا فضلا عما هو متعارف عليه إسلاميا من أن هناك ضروريات وكليات خمس تعتبر بمنزلة الثوابت في حياة الأفراد والأمة، والقيم الخالدة التي يقوم عليها المجتمع الإنساني، وفي مقدمة هذه الضروريات والكليات:حفظ الدين الذي هو عقيدة وشريعة إذ أن المجتمع لايتماسك أفراده وينتظم أمره إذا لم تتم المحافظة على هذه الكليات والضروريات الخمس.

لايقال إن هذا الحكم الإسلامي في عقوبة الردة جاء سدا للذريعة وكان ظرفيا وتشريعا جزئيا له ارتباط بالزمان والمكان بحيث ينسحب على ظروف نشأة الأمة الإسلامية وبنائها وتكوينها في العصر الرسالي والراشدي فقط، أما الآن فقد امتدت على بقاع واسعة من العالم وأصبحت من القوة والمنعة بحيث لا يؤثر الارتداد على وجودها وقوتها، ذلك أن هذه العقوبة جاءت تشريعا عاما للأمة كلها على امتداد وجودها، زمانا ومكانا بنص الحديث المذكور والإجماع القائم على النص، وما كان كذلك لايقبل التغيير أو النسخ، بخلاف الإجماع القائم على النظر والاجتهاد، وإن كان هذا لاينسخ أو يغير إلا بإجماع مثله.

وباعتبار أن عقوبة المجاهر بردته هي عقوبة تعزيرية لا حدودية حيث لاتقام على من ظلت حبيسة نفسه في مكنون سريرته. فإن هذا ينفي ما شاع في الفقه الإسلامي من أن المرتد " مهدور الدم" مستباح النفس يقتله من شاء من المسلمين، ولا عقاب على قاتله إلا الافتئات على الحاكم، بل لابد من محاكمته وصدور حكم قضائي بشانه وإصراره على ردته.

إلا أنه بالرغم من هذه العقوبة الزاجرة. التي أناطها الشرع بأولى الأمر. فإننا بدانا نقرأ ونسمع عن أفراد..أسر تنسلخ عن عقيدتها وتبدل دينها الحق: (إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران/19، وذلك انطلاقا من مفهوم الحرية الغربي الحديث الذي ساد بيننا والذي هو تعبير عن التمرد والرفض للواقع القائم، والجنوح إلى التغيير والتحديث والتبديل، وإخضاع كل مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية للنقد وسيطرة العقل الجامح، واتباع معتقدات الآخر وثقافته ونظرياته مهما كانت متصادمة مع هويتنا وحضارتنا، وخطرا على عقيدتنا وشريعتنا.

هذا المفهوم الجديد للحرية، استباح الأفراد والجماعات عبره أن تعتقد ماشاء من المعتقدات دون معرفة حكم الله تعالى في ذلك، وأن تنتقل من عقيدة إلى أخرى، وتتصرف حسب رغبتها ونزواتها مهما كان في ذلك خروج عن الجماعة أو شذوذ في التصرف أو انفلات من الأحكام والقوانين، مما يتعذر معه تأمين المصلحة العامة ويسهل بسببه إشاعة المفاسد والأضرار. فهل من الحرية أن يطعن الفرد في دين أمته الذي اعتنقه، فيهدم حدوده ويبدد قواعده؟ وهل يعتبر الخروج من عقيدة التوحيد والفطرة إلى عقيدة الكفر (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) المائدة/الاية:75، حرية، أو سفها وقصورا في الإدراك، وخللا في العقل واضطرابا في التفكير وتلاعبا بالمقدسات، وهل من الحرية أن يترك هؤلاء يعيثون في الأرض فسادا، ولايحاكمون باسم الحرية العبثية؟إن معاقبة المرتدين الذين أمر الله تعالى بعقابهم وأخبر بأنهم (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة)البقرة/الأية:217 تبقى أمرا واجبا.

ومما يزيد الأمر خطورة واستفحالا أن يجهر خصوم الإسلام وأعداؤه اليوم. وباسم الحرية العقدية. أنه لاحق للمغرب أن يضع قيودا على نشاط المبشرين، حيث لا يسمح لهم بالدعوة والعمل في أوساط المسلمين، ويذكرون بالفصل 20 من الدستور المغربي الذي يحرم أي عمل يرمي إلى زعزعة عقيدة المسلم، وتعد بعض الدول العلمانية الموقف الرسمي من الدولة المغربية تدخلا في حرية الاعتقاد ومسا بمبدأ اختيار الأشخاص للدين الذي يريدونه، هكذا بكل صفاقة.

وهنا ننبهه إلى أنه يجب عدم الخلط بين الانتماء العقدي والديني للأمة الإسلامية الذي يفرض عليه التزامات وأحكاما، وبين الانتماء الحضاري والسياسي لها الذي يتساوى فيه الجميع أمام القانون.

إننا نحذر من الغزو الصليبي والفكري لعقيدتنا وشريعتنا وأمتنا الإسلامية، التي يعيش شبابها خواء روحيا وفراغا عقديا وانحرافا أخلاقيا، أصبح معه ضعيفا عن مقاومة تيار الغزو الكاسح، حيث بدأ الأمر يستتب للغزاة، فبعد أن كان لهم ماأرادوا من تنحية شريعة الله وأحكامه عن حياة المسلمين في مختلف مجالات حياتهم الدنيوية، وأنها أخلاقيات لاتفرض التنفيذ، وانحصرت في عبادة وشعائر تعبدية، وأداء تقليدي خاو من الروح عديم التأثير في الحياة. ها هم يسعون للإجهاز على العقيدة وفق منهج مدروس واستراتيجية محكمة بعيدة المدى طويلة النفس، لتنصير الشباب وفتنته عن دينه بالارتداد عن عقيدته وصدق رسول الله (ﷺ) القائل فيما رواه الإمام أحمد "لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وأخرهن الصلاة" أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه.

إن مسؤولية أولي الأمر من الحكام والعلماء عما انتهى إليه هذا الأمر، عظيمة عند الله، وإن التقاعس عن إيقاف هذا الغزو ومحاربة ماينشأ عنه من فتن. تحت شعار الحرية الشخصية وحقوق الإنسان الدولية. لهو أكبر جرم وأعظم جهالة يتستر حولها المفتونون والمتقاعسون (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور/الآية:63، ولنتذكر في هذا المقام قول عمر بن الخطاب (ض): "إن الله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن".

فعلى العلماء ورثة الأنبياء أن يدافعوا عن دينهم وعقيدتهم بالحجة والبرهان، وعلى الحاكمين والمسؤولين أن يحموا هذا الدين من الغزو الصليبي الحاقد وذلك بإقامة شرعه وإحياء حدوده وتطبيقها على دعاة الإفساد والكفر، وإن حمايته من هذا النوع لمن شأنها أن تقضي على الفتنة في مهدها وأن تصون الأمة الإسلامية في عقيدتها وشريعتها وثقافتها وتحفظها من الاستغراب العقدي. إن أبناء أمتنا الإسلامية وإخواننا في الدين هم في هذه الأيام بحاجة ماسة إلي أن يتذكروا تعاليم شريعتهم ويتبينوا المزالق التي يقودهم إليها جهلهم بالدين، وافتتانهم بالشعارات التي يرفعها المغتربون والمتأسلمون ضدا على أنفسهم وعلى تعاليم شريعتهم، ومن حق الإسلام على رجاله أن يبينوا للناس ما جهلوه أو غاب عن عقولهم من أحكامه مع تقادم الزمن وغلبة الأهواء وشيوع الترهات والأباطيل.

هذا الحديث ليس دعوة إلى نصل أعواد المشانق وجز الرؤوس وإزهاق الأرواح، ولا اضطهاد للنفوس ومصادرة للحريات، ولكنه إنارة وتبصير بشرع الله فيما أصبحت تعج به حياة المسلمين من مباذل، وتمور به الساحة الإسلامية من غرائب ومنكرات باسم الحرية وتقديس العقل وعبادته، بدل احترامه والاستنارة به، ولله الأمر من قبل ومن بعد.